إشـارات إلى بعض
أهم ما يتحلى به الدعاة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

رقم الإيداع: / ٢٠٢٢

ISBN: 978 – 977 – - -

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن-عدن
الشيخ عثمان جولة القاهرة
خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ – +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٤٣ – +٩٦٧٠٢٠٥٣٤١٥٩٨
alshafibooks@gmail.com

إشـارات إلى بعض أهم ما يتحلى به الدعاة

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة المحدث

سليم بن عيد الهلالي

حفظه الله

وفضيلة الشيخ الجليل

أبي محمد عبد الحميد الزعكري الحجوري

حفظه الله

وفضيلة الشيخ الجليل

أبي عمرو عبد الكريم الحجوري

حفظه الله

كتبها

أبو عمران عاصم بن أحمد البيطار العتمي

دار الإمام الشافعي

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدث
سليم بن عيد الهلالي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه وآله وسلم.

أما بعد:

فإن ممارسة الدعوة الى الله على حقيقتها الربانية لا بد لها من أخلاق طيبة يرضى عنها الله تعالى: أخلاقٍ في النية يتجنب بها الداعية الرياء والتسميع والادعاء والإعجاب. وأخلاقٍ في النفس يطهر بها المرء نفسه من البغضاء والحسد والحقد والمكر وأخلاقٍ في السلوك يروض بها حياته على الحق مهما كان له أو عليه، ويطهر بها نفسه.

وقد وفق الله ولدنا أبا عمران عاصم البيطار لجمع أهم هذه الإشارات حيث صاغها بأفصح العبارات وأدق النظرات في هذه الرسالة التي بين يديك ايها القارئ الكريم.

وقد تصفحتها فوجدتها جديرة بالنشر ليتنفع بها اخواننا الدعاة إلى الله على بصيرة.

وكتبه حامدًا ومصليًا ومسلمًا

سليم بن عيد الهلالي

٢٧/ رجب الفرد/ ١٤٤٤هجري

في عمان البلقاء عاصمة جند الاردن من بلاد الشام المحروسة

تقديم فضيلة الشيخ الجليل
أبي محمد عبد الحميد الزعكري الحجوري
حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد طالعت رسالة: (إشارات إلى بعض أهم ما يتحلى به الدعاة)، لأخينا الداعي إلى الله والشاعر المجيد: **أبي عمران عاصم البيطار**، فألفيتها رسالة نافعة بإذن الله أسأل الله أن ينفعه وينفع بها من شاء من عباده، وجزى الله أخانا عاصمًا خيرًا وعلينا، وعليه ملازمة هذا الطريق طريق السنة والدعوة علمًا وعملًا ودعوة فهو إرث الأنبياء وطريق الأصفياء وزاد الأتقياء، والحمد لله رب العالمين.

عبد الحميد الزعكري

٢٠ شعبان ١٤٤٤

❁ ❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فقد اطلعت على رسالة: «إشارات إلى بعض ما يتحلى به الدعاة» لأخينا الجليل الداعي إلى الله على علم وبصيرة والشاعر النجيب فيما نحسبه والله حسيبه أبي عمران عاصم بن أحمد البيطار العتمي؛ فرأيتها جيدة أتى على مهمات الموضوع فجزاه الله خيرا ونفع به.

كتبه: أبو عمرو عبد الكريم أحمد الحجوري

دار القرآن والحديث، المهرة، حصوين

١٤٤٤/٨/٢١

❁ ❊ ❊ ❁

تقديم فضيلة الشيخ الجليل
أبي عمرو عبد الكريم الحجوري
حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فقد اطلعت على رسالة: «إشارات إلى بعض ما يتحلى به الدعاة لأخينا الجليل الداعي إلى الله على علم وبصيرة والشاعر النجيب فيها نحسبه والله حسيبه أبي عمران عاصم بن أحمد البيطار العتمي؛ فرأيتها جيدة أتى على مهات الموضوع فجزاه الله خيرا ونفع به.

كتبه:

أبو عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري

دار القرآن والحديث، المهرة، حصوين

٢١/ ٨/ ١٤٤٤هـ

❋ ❋ ❋ ❋

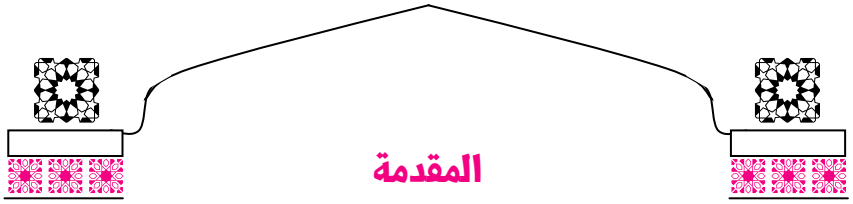

المقدمة

الحمد لله الذي امتنَّ على العباد بأن جعل في كلّ زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبِرون على الأذى، ويبصِّرون بكتاب الله أهل العمى[(١)]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر عباده بالدعوة إلى الخير، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، أفضل من بُعث بالتذكير، وأوضح لأمته المسير، ودلهم على كل هدى وخير، وحذرهم من كل سوء وضير، ﷺ، ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله وأصحابه الأطهار.

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله من أجل العبادات، وأفضل القربات، وهي وظيفة الأنبياء، ومن تبعهم من العلماء، وهي شرفٌ لصاحبها، فمن قام بها على الوجه المطلوب حاز فضلًا عظيمًا، ومقامًا ساميًا، فالداعية الذي يعمل الصالحات ويعمل بما يدعو إليه، هو من أحسن الناس قولًا، وأزكاهُم عملًا، وأرفعُهم شأنًا، وأعزُّهم، قدرًا، فهنيئًا لمن وفقه الله للقيام بهذه الوظيفة المباركة، قال ابن تيمية رحمه الله: تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام[(٢)].

ولما كانت الدعوة إلى الله بهذا القدر العظيم، والمكانة المرموقة، كان لزامًا على من شرفه الله بالقيام بها أن يتحلى بصفات حميدة، وخصال نبيلة، تزيد من

---

(١) مقدمة الإمام أحمد في كتاب الرد على الجهمية.

(٢) مجموع- الفتاوى١ / ٦.

مكانته، وترفع من شأنه، عند رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعند خلقه، وقد حاولت في هذه الرسالة المتواضعة أن أجمع بعض أهم الخصال التي يجب علينا كمسلمين أن نتحلى بها، وهي وإن كانت عامة لجميع المسلمين إلا أن الداعية إلى الله أحوج إليها من غيره، وقد أسميتها:

[إشارات إلى بعض أهم ما يتحلى به الدعاة]

وقد حرصت أن تكون مختصرة، يستفيد منها المبتدي، ولا يستغني عنها المنتهي، وأن تكون مفيدة في بابها إن شاء الله.

وفي هذا المقام أشكر الله أولًا على إحسانه وامتنانه، ثم والدَيَّ العزيزين، أسأل الله أن يختم لهما بالحسنى، وأن يجزيهما عني خيرًا.

وأشكر مشايخي الأجلاء الذين درست عليهم، وتشرفتُ بالجلوس بين أيديهم، وفي مقدمتهم، شيخنا العلامة محدث الديار اليمنية، ومفتيها، وإمام أهل السنة والجماعة فيها، الناصح الأمين، أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري، حفظه الله ورعاه، وجزاه الله خير الجزاء وأوفره على ما يقدمه للإسلام والمسلمين.

وهو موصول لشيخنا العلامة، محدث الديار الشامية أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي حفظه الله، وهو موصول أيضًا لشيخنا الجليل المبارك الوقور أبي محمد عبد الحميد الزعكري الحجوري ورفع قدره وبارك فيه وفي علمه.

وكذلك شكر الله لشيخنا الجليل المحدث أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله ورعاه، وقد قاموا جميعـًا بمراجعة هذه الرسالة، والتقديم لها، فجزاهم الله عني خيراً وبارك في جهودهم، إنه جواد كريم.

وشكر الله لمن راجع معي هذه الإشارات وأفادني ونبهني على ما يحتاج إلى التنبيه، والله أسأله التوفيق والسداد، والقبول والإخلاص، وأن ينفعني بها أولًا، ومن يقرؤها ثانيا، وأن يرزقنا جميعًا العمل بما يرضاه، وأن يثبتنا حتى نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه،

وإن تجـــد عيبًـــا فســـد الخلـــلا جـــل مـــن لا عيـــب فيـــه وعـــلا

والحمد لله رب العالمين.

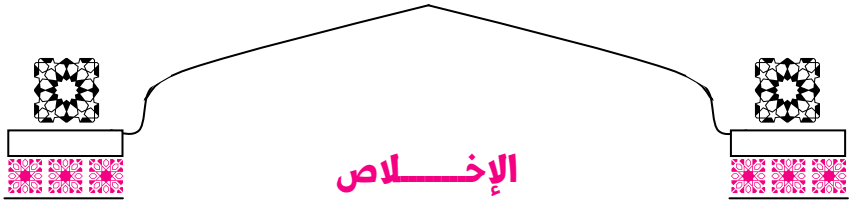

الإخـــــلاص

هو أهم ما ينبغي للداعية إلى الله التحلي به والحرص عليه، وهو أصل الدين وتاج العمل، وعنوان الوقار، وسمو الهمة، ورجحان العقل، وطريق السعادة، ولا يتم أمر ولا تحصل بركة إلا به، وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالإخلاص في أكثر من آية، فقال له: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢] وقال له: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر: ١١] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: ١٤] فصلاح العمل من صلاح النية، وصلاح النية من صلاح القلب.

وبه يجعل الله القبول لدعوتك، والسماع لنصحك، فاحذر أيها الداعية المبارك أن ينازعك الشيطان فيه فتهلك.

وبه يقبل الله الأعمال، بل هو شرط أساسي لقبولها، وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات**....» الحديث. ومعناه إنما قبول الأعمال بالنيات، قال الخطابي: معناه أن صحة الأعمال ووجوب أحكامها إنما يكون بالنية، فإن النية هي المصرفة لها إلى جهاتها(١).

وقال ابن هبيرة: لا يقبل الله عملًا إلا بنية، حتى إن المسلم يضاعف له الثواب على أكله وشربه، وقيامه وقعوده ونومه ويقظته، على حسب نيته في ذلك(٢).

وقد عد جماعة من أهل العلم هذا الحديث ثلث العلم لأهميته، قال العراقي رحمه الله:

---

(١) معالم السنن للخطاب ٣/ ٢١١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١/ ١٣٦.

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل: إنه: ثُلُث العلم، وقيل: رُبُعه، وقيل: خُمُسه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: إنه ثلث الإسلام(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع المسلمون على عِظَم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وصحته. وقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يقبل إلا العمل الخالص له وحده، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. قال ابن كثير: أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له. أهـ

ولا ينتفع العبد بعمله إلا إذا كان خالصًا لله، ثبت عند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

وفي الصحيحين عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يسمِّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**».

قال بعض الشراح: وقد دل الحديث على عقوبة المرائي يوم القيامة إن لم يتُبْ من الرياء وذلك أن الله تعالى يعامل المرائي بجنس ما عمله في الدنيا، فيفضحه يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيريه ثواب أعماله، ثم يحرمه منه والناس يرون، وهذا جارٍ على قاعدة: (الجزاء من جنس العمل) ولا يظلم ربك أحدًا.

وفي مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أول من تُسعر بهم النار ثلاثة...، ومنهم: ورجل تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد.

قال العلامة ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وقد جرَت عادة الله التي لا تُبدَّل، وسُنَّته التي لا تحوَّل أن يُلبِس المخلصَ من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسَب إخلاصه ونيته، ومعاملته لربه، ويُلبس المرائيَ اللابس ثوبَي الزور من المقت والمهانة والبِغْضة ما هو اللائق به؛ فالمخلص له المهابة والمحبة، وللآخر المقتُ والبغضاء[(١)].أهـ ومما يعين على الإخلاص معرفة قدر النفس، وعدم الفرح بالمدح والثناء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فصل: لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي القلب، ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس، إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، والضب والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص فَأقبل على الطمع أَولا فاذبحه بسكين الْيَأْس، وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص، فَإِن قلت وَمَا الَّذِي يسهّل عَليّ ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح؟، قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عَلَيْك علمك يَقِينا أَنه لَيْسَ من شَيْء يطْمع فِيهِ إِلَّا وبيد الله وَحده خزائنه لَا يملكهَا غَيره، وَلَا يُؤْتى العَبْد مِنْهَا شَيْئا سواهُ، وَأما الزهد فِي الثَّنَاء والمدح فيسهله عَلَيْك علمك أَنه لَيْسَ أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إِلَّا الله وحده، كَمَا قَالَ ذَلِك الْأَعرَابِي للنَّبِي إِن مدحي زين وذمي شَيْن فَقَالَ ذَلِك الله ﷻ، فازهد فِي مدح من لَا يزينك مدحه، وَفِي ذمّ من لَا يشينك ذمّه، وارغب فِي مدح من كل الزين فِي مدحه، وكل الشين فِي ذمه، وَلنْ يقدر على ذَلِك إِلَّا بِالصبر، وَالْيَقِين، فَمَتَى فقدت الصَّبْر وَالْيَقِين كنت كمن أَرَادَ السّفر فِي الْبَحْر فِي غير مركب، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]. اهـ[(٢)].

---

(١) إعلام الموقعين، ٤/ ٢٠٠.

(٢) الفوائد لابن القيم ١٤٩ ط العلمية.

الحرص على تعلم العلم الشرعي

ينبغي للداعية إلى الله أن يحرص على تعلم ما ينفعه في دنياه وأخراه، ولا ينبغي أن يتصدر للدعوة إلى الله من ليس له حظ في طلب العلم،

لذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] ويا للأسف أن تجد من يتصدر للدعوة، بل للفتوى، من لا يحسن ذلك، ومن لم يُعرف بطلب العلم، فتجد من هذا حاله متخبطًا في الفتن، متناقضًا في الآراء.

ولا يخفى عليك أيها الداعية الكريم أهمية العلم وفضله، قال ابن القيم رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]: وكفى بهذا شرفًا للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه. أهـ(١).

فانظر يا رعاك الله كيف أُمر النبي ﷺ أن يطلب الإستزادة من العلم، إذ لا يوجد ما هو أهم وأفضل منه، وقد امتن الله على نبيه وتفضل بالعلم فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣] فاحرص عليه، ولازم ذويه، وتسلح به، فإنه نعم المعين في دنياك وأخراك، ونعم السلاح في وجه دعاة الشبهات والشهوات، وإياك أن تكتفي بمطالعة

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٠.

الكتب، فإن من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه.

وقد سئل الإمام ابن باز رحمه الله: ما رأي فضيلتكم في هذه العبارة التي تتردد على ألسنة كثير من طلبة العلم وهي (من كان شيخه كتابه ضل عن صوابه)؟ فأجاب: المعروف أن من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه، هذه هي العبارة التي نعرفها، وهذا صحيح: أن من لم يدرس على أهل العلم ولم يأخذ عنهم ولا عرف الطرق التي سلكوها في طلب العلم، فإنه يخطئ كثيرا، ويلتبس عليه الحق بالباطل لعدم معرفته بالأدلة الشرعية والأحوال المرعية التي درج عليها أهل العلم وحققوها وعملوا بها. أهـ(١).

وقال رحمه الله **وهو يشرح كيف يكون الرجل داعية إلى الله:** أن تكون على بينة في دعوتك أي على علم، لا تكن جاهلا بما تدعو إليه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقول على الله بغير علم، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلى طالب العلم وعلى الداعية، أن يتبصر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك، سواء كان ذلك فعلًا أو تركًا، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة(٢).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: الدعوة الى الله أشرف مقامات العبد وأجلها

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٧/ ٢٤٣.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١/ ٣٢٤.

وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء[(١)].

وقال الإمام الوادعي رحمه الله: الشباب الذين لا يحضرون عند العلماء، يحصل منهم تخبط، ويحصل منهم تشدد وانحراف[(٢)].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٤.

(٢) نصائح وفضائح ١٥٥.

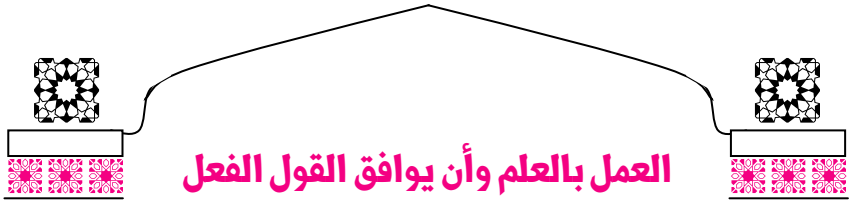

العمل بالعلم وأن يوافق القول الفعل

وهذا خلق لا ينبل الداعية إلا به، ولا يستقيم حاله إلا بالحرص عليه، وقد ذم الله في كتابه من لا يعمل بعلمه، وشبهه بالحمار والعياذ بالله، فقال في حق اليهود الذين علموا ولم يعملوا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة: ٥]

قال القرطبي رحمه الله: وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعمل بما فيه ؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء. أهـ

وقال ابن القيم رحمه الله عند هذه الآية: فقاس مَن حمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب؛ فقراءتُه بغير تدبُّر ولا تفهُّم ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره [(١)].أهـ

وقد سمى الله عدم العمل بالعلم مقتًا وذمه فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

قال السعدي رحمه الله: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به،

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ص١٢٧ دار الكتب العلمية.

فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه. أهـ

وقال تعالى موبخًا أهل الكتاب ومن حذا حذوهم: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

قال ابن جرير الطبري: (أتأمرون الناس بالبر) أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

وقال القرطبي: دلت الآية على أن عقوبة من كان عالما بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه وإنما ذلك؛ لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالى، ومستخف بأحكامه وهو ممن لا ينتفع بعلمه ؛ قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**». أخرجه ابن ماجه في سننه. (١).أهـ.

وقد أخرج الإمام أحمد والبزار وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث أنس ابن مالك أن النبي ﷺ قال: «**مررْتُ ليلةَ أُسرِيَ بي بأقوامٍ تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ من نارٍ، قُلْتُ: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: خُطَبَاءُ أمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ ويقرؤونَ كتابَ اللهِ ولا يعملونَ بِه**».

وثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) الحديث أخرجه الآجري في أخلاق العلماء وإبن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الصغير وهو من طريق عثمان بن مقسم البري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة مرفوعًا، وقد انفرد به عثمان بن مقسم عن سعيد المقبري، وهو متروك، وقد جاء موقوفًا على أبي الدرداء وفي سنده عبد الغفار بن القاسم بن قيس وهو متروك..

يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه.

قَالَ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح رياض الصالحين عند هذا الحديث-: هذا الحديث فيه التحذير الشديد من الرجل الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، والعياذ بالله، يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة**»؛ أي: تأتي به الملائكة، فيلقى في النار إلقاء، لا يدخلها برفق، ولكنه يلقى فيها كما يلقى الحجر في اليمّ، وتندلق أقتاب بطنه، يعني أمعاءه، الأقتاب: جمع قِتْب وهو المِعَيّ، ومعنى تندلق: تخرج من بطنه من شدة الإلقاء والعياذ بالله «**فيدورُ بها كما يدورُ الحِمار في الرَّحى**» وهذا التشبيه للتقبيح، شبهه بالحمار الذي يدور على الرحى، وصفة ذلك: أنه في المطاحن القديمة قبل أن توجد هذه المعدات الجديدة، كان يُجعل حجران كبيران وينقشان فيما بينهما أي ينقران، ويوضع للأعلى منها فتحة تدخل منها الحبوب، وفيها خشبة تربط بمتن الحمار، ثم يستدير على الرَّحى، وفي استدارته تطحنُ الرَّحى، فهذا الرجل الذي يلقى في النار يدور على أمعائه والعياذ بالله كما يدور الحمار على رحاه، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون له: ما لك؟ أيُّ شيء جاء بك إلى هنا، وأنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول مقرًّا على نفسه -: «**كنت آمر بالمعروف ولا آتيه**»: يقول للناس: صلوا ولا يصلي، ويقول لهم: زكوا أموالكم ولا يزكى، ويقول: بروا الوالدين ولا يبر والديه، وهكذا يأمر بالمعروف ولكنه لا يأتيه «**وأَنهَى عن المنكرِ وآتيه**»: يقول للناس: لا تغتابوا الناس، لا تأكلوا الرِّبا، لا تغشوا في البيع، لا تسيئوا العشرة، لا تسيئوا الجيرة، وما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة التي ينهى عنها، ولكنه يأتيها والعياذ بالله يبيع بالربا، ويغش، ويسيء العشرة، ويسئ إلى الجيران وغير هذا، فهو بذلك

يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه نسأل الله العافية فيعذب هذا العذاب ويخزى هذا الخزي، فالواجب على المرء أن يبدأ بنفسه فيأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر؛ لأن أعظم الناس حقًا عليك بعد رسول الله ﷺ نفسك. أهـ

وقال العلامة ابن الوزير رحمه الله: وقد أجمع أهل العلم على ذم العلم بغير عمل، وعلى أن ثمرة العلم وسبب شرفه، وفضله هو العمل به(١).

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس من يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه، ويبتعدون عما ينهون عنه، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣] وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة:٤٤] وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه. هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك**»(٢).

❀ ❀ ❀ ❀

(١) العواصم والقواصم ٢/ ٣٠٢.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن ١/ ٣٢٤.

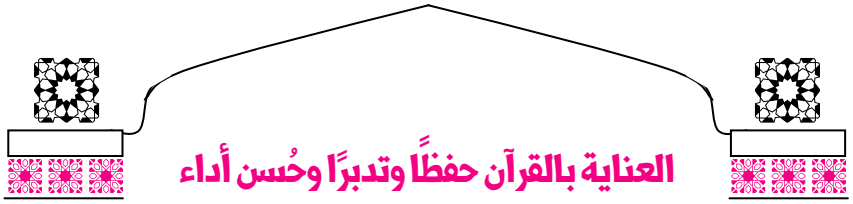

العناية بالقرآن حفظًا وتدبرًا وحُسن أداء

وهذا أمرٌ لا ينبغي التفريط فيه، ولا التساهل في شأنه، فكما أننا متعبدون بفهم معاني القرآن، وتدبر آياته، فنحن متعبدون بحسن تلاوته، وضبط أدائه كما نزل، فينبغي للداعية ألا يتساهل بكل ما يتعلق بكتاب الله، فهمًا، وتدبرًا، ودراسةً، وحُسن أداء.

ولا يخفى عليك وفقك الله فضل حافظ القرآن ومنزلة صاحبه يوم القيامة، فهنيئًا لمن حفظه وعمل بما فيه.

واعلم وفقك الله أنك مسؤول أمام الله عما تقرؤه من كتاب الله، وقد ثبت في مسلم من حديث ابي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «.... **والقرآن حجة لك أو عليك**». فهو حجة لصاحبه إن عمل بما فيه وتخلق به، أو حجة عليه إن كان على عكس ذلك، والعياذ بالله.

ومن أراد أن يخشع قبله، وينشرح صدره، فلا يستغنِ عن تدبر كلام الله، والتفكر في معانيه، ولا يكون همه متى يختم السورة، أو الورد، وقد ذم الله من ترك التدبر للقرآن فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] قال السعدي رحمه الله: يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم،

وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. أهـ

ومما ينبغي الإشارة إليه ما يقبح في حق الداعية، ألا وهو سوء قراءته، وعدم حرصه على تعلم تجويد كتاب الله، وإنك لتعجب من أناس صار لهم في العلم باع، وصيتهم بين الناس ذاع، فإذا سمعت قراءته تعجبت من رداءتها، والله المستعان.

قال ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤].

قال بعض العلماء: والترتيل هو إعطاء كل حرف حقه ومستحقه. أي: أنك تخرج الحرف من مخرجه، وتقرأ بترتيل وبتدبر.

قال ابن الجزري:

والأخـــذ بالتجويـــد حـــتم لازم مـــن لـــم يجـــود القـــرآن آثـــم

ولم يكن ابن الجزري أول من قال بأن الأخذ بالتجويد واجب، فقد كان علماء القراءة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم يحرصون كل الحرص على حسن الأداء وتجويد القراءة، وهذا ما فهموه من قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤].

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله: ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه، على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها، والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم ، أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح، العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد أو النبطي القبيح، استغناءً بنفسه، واستبدادًا برأيه وحدسه، واتكالًا على ما أَلِف من حفظه، واستكبارًا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح

لفظه، فإنه مقصرٌ بلا شك، وآثمٌ بلا ريب، وغاش بلا مرية، فقد قال ﷺ: «**الدين....النصيحة: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يوجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي وهو ممن لا يحسن القراءة [(١)]. أهـ.

وبهذا نعلم أن الأخذ بقواعد التجويد واجب شرعي في قراءة القرآن الكريم يثاب القارئ بفعلها ويأثم بتركها، ولا يكفيه مجرد العلم بها من الكتب، بل لا بد له من الرجوع إلى الشيوخ المتقنين الآخذين ذلك عن أمثالهم، المتصل سندهم برسول الله ﷺ، والأخذ عنهم والسماع من أفواههم، لأن هناك أمورًا لا تُدرَك إلا بالسَّماع منهم، ورياضة اللسان عليها المرة تلو المرة أمامهم، كالروم والإشمام والإدغام والإخفاء والمد والقصر والإمالة والتسهيل إلى آخر ما هنالك، وبهذا يكون القارئ سليم النطق، حسن الأداء، بعيدًا عن اللحن، بخلاف من أخذ من الكتب، وترك الرجوع إلى الشيوخ، فإنه يعجز لا محالة عن الأداء الصحيح، ويقع في التحريف الصريح الذي لا تصح به القراءة ولا توصف به التلاوة.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) النشر ١/ ٢١٠-٢١١ .

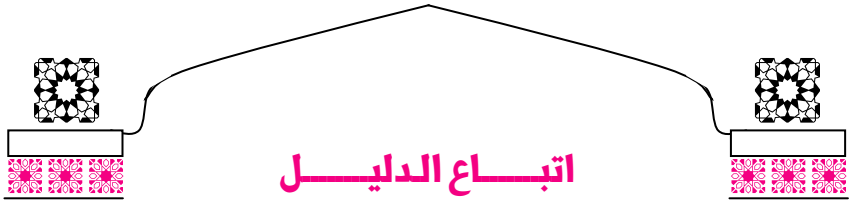

اتبـــاع الدليـــل

ومما يجب على الداعية الاهتمام به، والحرص عليه، اتباع الدليل، والانقياد لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والحث على ذلك، والدعوة إليه.

وقد تظافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في بيان وجوب الانقياد للدليل وعدم التراخي أو التهاون في ذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

قال ابن كثير رحمه الله: أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ أي: لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره.

وقال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. وقالت فرقة: هذا أمر يعم النبي ﷺ وأمته. والظاهر أنه أمر لجميع الناس دونه. أي اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه. ودلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص.

الثانية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ والهاء تعود على الرب سبحانه، والمعنى: لا تعبدوا معه غيره، ولا تتخذوا من عدل عن دين الله وليا. وكل

من رضي مذهبا فأهل ذلك المذهب أولياؤه. أهـ

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأنَّ نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. أهـ

فإذا تقرر هذا عندك علمت أن الاتباع لا يكون إلا للدليل، فيدور معه المرء حيث دار، فالله أمرنا باتباع ما جاء به في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وما سوى ذلك مردود وفي الصحيحين من حدث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». وجاء عند مسلم وغيره بلفظ: من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أهل العربية: «الرد» هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به.

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ. اهـ، فكل عمل ليس عليه دليل فهو مردود وغير مقبول بنص الحديث.

وانظر أيها الداعية المبارك إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ، من سرعة الانقياد لما جاءهم دون تردد، ومن أمثلة ذلك تحريم الخمر، وتحول القبلة، وفرض الحجاب، وغيرها من المواقف التي دلت على سرعة انقيادهم رضوان الله عليهم لما جاء به الدليل دون تريث أو تباطؤ، فإذا تقرر هذا تبين لنا حرمة مخالفة ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، أو تقديم أي أمر على ذلك، وقد نهى الله أن يقدم المرء بين يدي الله

ورسوله فقال جل من قائل حكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات: ١].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا، ومن قدم قوله أو فعله على الرسول ﷺ فقد قدمه على الله تعالى لأن الرسول ﷺ إنما يأمر عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ❁ ❁ ❁

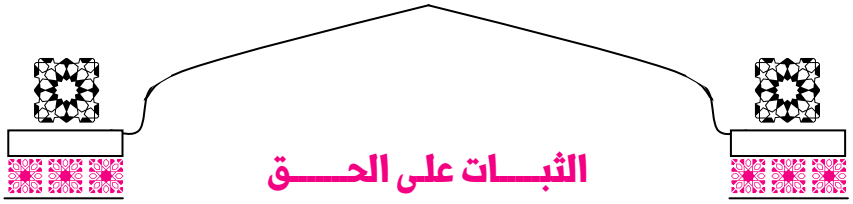

الثبـــات على الحـــق

وهو مطلب كل مؤمن بالله، ومن أبرز سمات أهل الحق، وهم كل داعية، لا سيما في زمن الفتن، وتنوع وسائل الفساد والإفساد، والضلال والإضلال، فأهل الحق أشد الناس صبرًا، وأكثرهم تحملًا، لتنوع المغريات، وكثرت الشبهات، وسهولة الوصول إلى الشهوات.

وقد كان من أكثر دعاء النبي ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» وبين الله أن دعاء الراسخين في العلم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨] قال السعدي رحمه الله: ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: لا تملها عن الحق جهلا وعنادا منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزائغين ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: عظيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ أي: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان الذي عم جودك جميع البريات. أهـ

فحري بك أيها الداعية الكريم أن تكثر من هذا الدعاء، وأن تسأل الله الثبات صباح مساء، فإن الفتن متنوعة، والمثبت من ثبته الله.

و للثبات أسباب دلت عليها الأدلة الشرعية ومنها:

اللجوء إلى الله: وذلك بكثرة الدعاء كما ثبت عن نبينا ﷺ، وذكره الله صفة

للراسخين في العلم وأثنى عليهم بذلك.

ومنها مصاحبة القرآن: بكثرة تلاوته، وتدبر آياته، قال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

ومنها الحرص على الأعمال الصالحة: قال الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [ابراهيم: ٢٧] قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها. أهـ

ومنها تحصيل العلم النافع: لأن العلم يبطل الباطل، ويكشف الشبهات، ويحارب الشهوات، ويسقط المؤامرات، وقد سبق الكلام على أهميته، وضرورة تحصيله.

ومنها تأمل قصص الأنبياء والرسل: قال سبحانه لنبيه ﷺ بعد أن قص عليه أخبار الأنبياء، وما حصل لهم من تكذيب وبلاء، وما أنزل الله على من كذبهم من عذاب: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠] فبين سبحانه أنه يقص على نبيه هذه القصص ليزداد ثباتًا وصلابة، ففيها من العظة والعبرة ما يمنح متدبرها حصانة راسخة.

ومنها تجنب الفتن: ففي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه**».

هذه من أهم الأسباب الشرعية التي مَن تمسك بها مخلصًا رزقه الله ﷻ الثبات والاستقامة على الحق حتى الممات إن شاء الله، جعلنا الله وإياكم منهم أجمعين.

❁ ❁ ❁ ❁

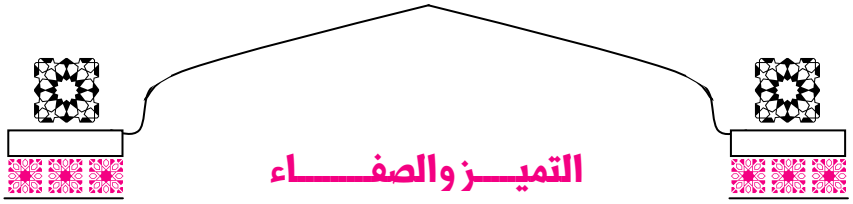

التميـــز والصفـــــاء

والتميز منهج قويم، وسلوك سليم، يجب على الداعية الاهتمام به، والسير عليه، وله أدلته من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في فتح القدير:، وَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْمُطَهَّرَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا عَلِمَ أَنْ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ فِيهَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا فِي مُجَالَسَةِ مَنْ يَعْصِي اللهَ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ غَيْرَ رَاسِخِ الْقَدَمِ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ مِنْ كَذِبَاتِهِمْ وَهَذَيَانِهِمْ مَا هُوَ مِنَ الْبُطْلَانِ بِأَوْضَحِ مَكَانٍ، فَيَنْقَدِحُ فِي قَلْبِهِ مَا يَصْعُبُ عِلَاجُهُ، وَيَعْسُرُ دَفْعُهُ، فَيَعْمَلُ بِذَلِكَ مُدَّةَ عُمْرِهِ، وَيَلْقَى اللهَ بِهِ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ من الحق وهو من أبطل الْبَاطِلِ وَأَنْكَرِ الْمُنْكَرِ. أهـ

وجاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ:**

إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبَطَالَتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ. أهـ

وقد حذر أهل العلم قديمًا وحديثًا من مجالسة أهل البدع، ومن ذلك ما قاله الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة صحيحه أيضًا:حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ. أهـ

وقال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ **في سننه**:أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ» إسناد صحيح

وقال بندار بن الحسين: صحبة أهل البدع تورث الاعراض عن الحق(١).

قال البيهقي عن الإمام الشافعي رحمهما الله: وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديدًا على أهل

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٩ ط م الرسالة.

الإلحاد والبدع مجاهرًا ببغضهم وهجرهم[١].

وقال بن القيم رحمه الله: ومن ههنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وأن لا نسلم عليهم؛ ولا يريهم طلاقة الوجه؛ ولا يلقاهم إلى بالعبوس والإعراض[٢].

وقال الإمام الوادعي رحمه الله: وننصح أهل السنة أن يتميزوا وأن يبنوا لهم مساجد ولو من اللبن أو من سعف النخل، فإنّهم لن يستطيعوا أن ينشروا سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا بالتميّز وإلا فالمبتدعة لن يتركوهم ينشرون السنة. [٣]أهـ

❋ ❋ ❋ ❋

(١) سير أعلا النبلاء١٣/ ٣٢٢.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ١٤٠.

(٣) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب: ٢٠٨.

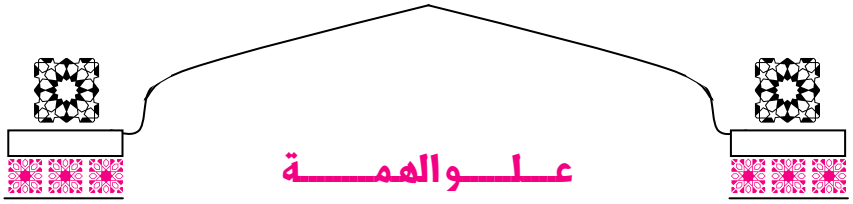

علو الهمة

علو الهمة خلق رفيع وغاية نبيلة، تهفوا إليه الفطر القيمة، وتعشقه النفوس الكريمة، وهو من أسس الأخلاق الفاضلة، وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في علو الهمة، فقد كان ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة في ذلك، فقد كان أعلا الناس همة، وأكثرهم شجاعة.

فكان ﷺ القدوة الحسنة في الهمة العالية في الجهاد في سبيل الله، فقاد بنفسه سبعًا وعشرين غزاة، وكان يتمنى أن يقود بنفسه كل المبعوث والسرايا، ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل**».

فأي همة عالية أعظم من هذه الهمة النبوية.

وكان ﷺ القدوة الحسنة في الهمة العالية في العبادة، فكان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فتقول له عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول، أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورا. متفق عليه.

وكان القدوة الحسنة في الهمة العالية في الدعوة إلى الله، فصبر وتحمل الأذى، وواجه كل الصعاب بهمة عالية، وعزيمة شديدة، حتى نصره الله وأيده، وأظهره على من عاداه، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

فاحرص أيها الداعية الكريم، على علو همتك، وإياك أن ترضى بالدنو.

قال ابن الجوزي رحمه الله: من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالديون دني[١].

وقال ابن القيم: فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل[٢].

وقال رحمه الله: العمل والعمل توأمان أمهما علو الهمة[٣].

واعلم حفظك الله أن لعلو الهمة أسباب منها: العلم، فهو يرشد صاحبه إلى مصالحه، وكلما ازاد الإنسان من العلم النافع علت همته.

ومنها الدعاء: فهو السلاح القوي الذي يلجأ إليه من ضعفت همته، وفترت عزيمته، فلا تغفل عنه فهو من أعظم الأسباب لنيل الهمة العالية، والموقف من وفقه الله.

ومنها تذكر اليوم الاخر: فإن تذكر الآخرة وما سيقدم عليه المرء، يبعث في القلب الهمة العالية ويوقظه من غفلته.

ولدنو الهمة أسباب منها: المعاصي فكيف ينطلق الإنسان إلى المعالي وهو مثقل الذنوب، مكبل بالشهوات، منهك القوى الذنوب.

ومنها الغفلة: فكيف يرتقي من هو في غفلة عن مصالحه وأسباب سعادته.

ومنها مجالسة أهل الشر: فإن ذلك يوهن العزائم، ويُضعف الهمم بما يعلق في القلب من كلامهم، وسوء فعاملهم، وكلما أردت فعل الخير ثبطك.

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) صيد الخاطر ٢٨.

(٢) الفوائد ٩٧.

(٣) بدائع الفوائد ٧٤٧.

التعفف عما في أيدي الناس

وهذا رعاك الله من أعظم ما تسلم به دعوتك، وتحفظ به مكانتك، ويكثر به نفعك، فإن الناس تأنف ممن يتوق لما في أيديهم، وتنظر إليه بازدراء واحتقار، وقد مدح الله تعالى قومًا اتصفوا بالعفة في مظهرهم، مع فقرهم وحاجتهم فقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣] وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله**».

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرح هذا الحديث من رياض الصالحين: أي من يستغن بما عند الله عما في أيدي الناس؛ يغنه الله عَزَّ وَجَلَّ، وأما من يسأل الناس ويحتاج لما عندهم؛ فإنه سيبقي قلبه فقيرًا والعياذ بالله ولا يستغنى، والغني غني القلب، فإذا استغني الإنسان بما عند الله عما في أيدي الناس؛ أغناه الله عن الناس، وجعله عزيز النفس بعيدًا عن السؤال. أهـ

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح عند هذا الحديث: وفِي الْحَدِيث الْحَضّ عَلَى الِاسْتِغْنَاء عَنْ النَّاس وَالتَّعَفُّف عَنْ سُؤَالهمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّوَكُّل عَلَى الله وَانْتِظَار مَا يَرْزُقهُ الله ، وَأَنَّ الصَّبْر أَفْضَل مَا يُعْطَاهُ الْمَرْء لِكَوْنِ الْجَزَاء عَلَيْهِ غَيْر مُقَدَّر وَلَا مَحْدُود. أهـ

وقال النووي في منهاجه عند هذا الحديث: وفِي هَذَا الْحَدِيث الْحَثُّ عَلَى التَّعَفُّفِ وَالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِمَا تَيَسَّرَ فِي عَفَافٍ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا. أهـ

وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»، رواه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد وصف النبي ﷺ المتعففين أنهم من أهل الجنة كما ثبت ذلك عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رفيق القلب لكل مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**».. (من حديث طويل أخرجه مسلم).

وبين النبي ﷺ، أن التعفف عما في أيدي الناس، يسبب محبتهم لك، كما ورد عند ابن ماجة وغيره، وصححه الألباني عن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله، وأحبني الناس. فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**».

قال ابن رجب رحمه الله: قد اشتمل هذا الحديث على وصيتين: إحداهما: الزهد في الدنيا، وأنه مقتض المحبة الله عز وجل، والثانية: الزهد فيما في أيدي الناس، فإنه مقتضٍ لمحبة الناس(١).

وقال العلامة عبد المحسن العباد: فالنبي ﷺ أرشد إلى أن الناس يعجبهم الذي يستغني عما عندهم من المال؛ لأنهم حريصون على دنياهم، ومن يريد أن يشاركهم أو يكون له معهم نصيب أو يطلب منهم شيئًا فإن هذا غير محبوب عندهم، ولهذا فإن الشيء الذي يحبه الناس من الإنسان هو أن يستغني عما في أيديهم، وأن لا يشغل نفسه بتحصيل شيء مما في أيديهم(٢).

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٩٠.

(٢) شرح الأربعين النووية .

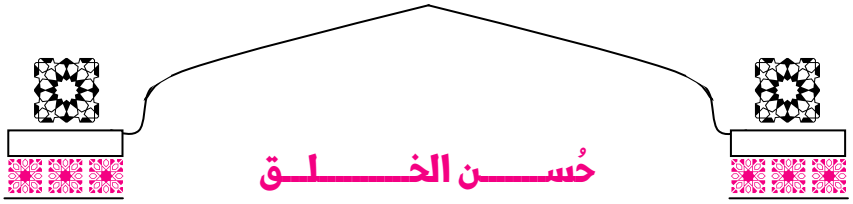

حُســـــن الخـــــلـــق

اعلم وفقني الله وإياك أن حُسن الخلق من أجمل ما يتحلى به الداعية، وهو أقصر طريق لقلوب الناس، وقد وصف الله تعالى به نبيه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا ﷺ، فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا، وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى، بطيب نفس وانشراح صدر[(١)]. اهـ

واعلم يا رعاك الله أن الخلق الحسن من العوامل المهمة في انجذاب الناس إلى الداعية، وتأثرهم به، وقبولهم لدعوته، إضافة إلى أجره في الآخرة، فالناس مفطورون على محبة الفضائل والانجذاب إليها، والنفور من القبائح والابتعاد عنها، والداعية إلى الله أحوج ما يكون إلى التخلق والاتصاف بالأمور المحببة إلى قلوب الناس، فضلا عن كونها من واجبات المسلم، والناس إذا لاحظوا من الداعية سوءًا في أخلاقه تذمروا منه، ونفروا من دعوته، خوفا من تضررهم بأخلاقه السيئة، وقد يميلون إلى تفضيل أهل الفسق والضلال ومجالستهم، إذا آنسوا منهم حسنا في الخلق ورفقا في المعاملة، ومما يزيد من أهمية الخلق الحسن عند الداعية، أنه قد لا يتمكن من الإحسان إلى الناس بنفسه أو بماله، فإذا كان ذا خلق حسن ولين جانب، وطلاقة

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٥٨.

وجه، ونحو ذلك فإن ذلك مما يجلب التحاب بين الناس، ولن يعدم حينئذ الوسيلة التي ينفذ بها إلى قلوب المدعوين.

وقد كانت حياة الرسول ﷺ وسيرته بصفة عامة مدرسة في الأخلاق وحسن المعاملة، فلا توجد صفة أخلاقية حميدة، إلا وكان له الكمال البشري فيها، فهو أكمل الناس خلقا ودينا، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ، يستلهم الأخلاق الحميدة العديدة، ومن شواهد ذلك: مقابلته لمن أسلم يوم الفتح بطلاقة الوجه وطيب الكلام، فدخلوا في الإسلام طائعين، كملاقاته لعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله عنهما.

وترى منه ﷺ الحلم في تصرفه مع حاطب رضي الله عنه، وفي تجاوزه عمن حاول الغدر به من أهل مكة.

وترى الوفاء بالعهد في نصرته ابتداء لبني خزاعة بعد الغدر بهم، ثم وفاءه لعثمان بن أبي طلحة وتسليمه مفاتيح الكعبة، ويظهر خلق العفو والصفح عن أهل مكة، والمن عليهم بإطلاقهم، ويظهر جوده وكرمه ﷺ في إعطائه العطايا العظيمة تأليفا لقلوب مسلمة الفتح وغيرهم وترغيبا لهم في الإسلام، كما يعظم تواضعه حين تتأمل هيأته في دخوله مكة خاشعا لله، ثم ترى عفته وقناعته حين تعلم أنه نزل في خيمة أقيمت له ولم يأخذ دُورًا كانت يوما من الأيام ملكا له، وترى الشجاعة والتضحية في توجهه إلى مكة دون تردد، ومشاركته بنفسه الكريمة في قيادة الجيش، ولبسه عدة المحارب.

وترى عدله وإنصافه حتى لو كان ذلك من نفسه أو أقرب الأقربين إليه...إلى آخر الأخلاق الكريمة التي عرفتها منه قريش وغيرها معرفة تامة، فوقعت محبته في قلوبهم، ودخلوا في دين الإسلام أفواجا.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: الواجبُ أن يكون طلبةُ الحديث أكمل الناس أدبًا، وأشد الخَلْق تواضعًا، وأعظمهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلّهم طيشًا وغضبًا؛ لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدِّثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويَصدِفوا عن أرذلِها وأدونها[1].

❋ ❋ ❋ ❋

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٧٨/ ١)..

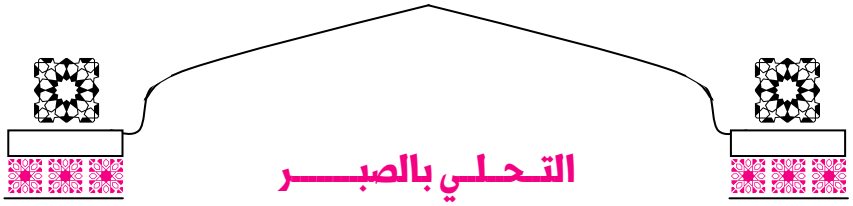

التحلي بالصبر

والصبر من أعظم أركان الخُلق الحسن الذي يحتاجه كل مسلم على وجه العموم وكل داعية على وجه الخصوص، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حيث قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له. (١).

فإذا كان ذلك في الإيمان، فالصبر في الدعوة إلى الله تعالى من باب أولى، فإنه من أعظم القربات، ومن أجل الهبات، وهو خلق رفيع جليل، به يأتي الفرج، وينال المراد، وهو خلق الأنبياء جميعا عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ والله وَعَزَّ وَجَلَّ خاطب الرسول ﷺ مرات كثيرة موصيًا إياه بالصبر، قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧] فهنا يُثبِّت الله سبحانه نبيه، ويُسلِّيه ويُصبِّره، بأن هذا أمر من المفروض أن يُقابله الداعي أثناء دعوته، ولكن المهمَّ أن يَصبِر ويُصابر، وقد كان هذا هو أسلوب الرسول ﷺ في دعوته لقومه، فكان يتحمَّل أذى قومه طيلة دعوته في مكة، ويَصبر على ما هم عليه مِن كفْر مُتيقنًا أن العاقبة له، وأنه لا بد منصور ما دام قد التزم بالدعوة حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وظلَّ على ذلك؛ حتى تشرَّب الناس الإيمان وفقهوه، ومالوا إليه وبدؤوا يَدخلون في دين الله أفواجًا، وكان صبره هذا لم يُيئسه مِن نجاح الدعوة، ومن الدعوة إلى الله في أي مكان، ثم

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ٣٠٨.

هاجر إلى المدينة، وهناك واصَل دعوته، وجاءه نصر الله والفتح.

ومما ينبغي للداعية أن يعلمه، أنه بالأمل والإيمان، وتَحمُّل الأذى وتحمُّل الناس المدعوِّين، واعتبارهم مرضى وفي حاجة للشفاء، يمكن للداعية أن ينجح في دعوته، ويغلب حقُه باطلَ غيره، وقد تحلى بهذه الصفة الحميدة أنبياء الله ورسله، وقد وضح الله ذلك في كتابه، فارجع إليه أيها الكريم تجد ما لاقاه نوح عليه السلام وكيف صبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وكذلك صبر إبراهيم عليه السلام على قومه وكانت الحجة مَنطِقَه الذي يدعوهم به، فحاج ملكهم الذي ادعى أنه قادر على أن يفعل أمورًا لا يقدر عليها إلا الله، فبهت الذي كفر، وحاج عبّاد الكواكب فغلبهم، وحاج عبّاد الأوثان بالحجة العملية فأقروا أنهم الظالمون، وكذلك صبر إسماعيل على الذبح ففداه الله بذبح عظيم، وصبر يعقوب على فعل بعض أولاده وفراق يوسف فأظفره الله ورده إليه وجمعه به بعد طول انتظار، وصبر يوسف على ترك الشهوة الحرام لما دعته ذات المنصب والجمال فقال: معاذ الله، وصبر على السجن مظلوما، بل لما خير بين الفحشاء والسجن، اختار السجن، فكان عاقبة صبره أن رفعه الله في الدنيا، ولأجر الآخرة أكبر، وكذلك صبر أيوب، على مرضه، فشفاه وعافاه وأعطاه، وصبر موسى صبرًا عظيما على فرعون، بل وعلى بني إسرائيل يدعوهم فيتفلتون، فأغرق الله فرعون، وأنزل بالمكذبين أصناف العذاب، وصبر عيسى عليه السلام حتى أراد قومه صلبه لما لم يستطيعوا مجاراته فأنجاه الله منهم ورفعه إليه، فهذا هو منهج الأنبياء والرسل، الصبر وتحمل الأذى، فاسلك سبيلهم، تنجو وتجني ثمار ذلك إن شاء الله.

وانظر يا رعاك الله كيف جعل الله أجر الصبر لا يعد ولا يحصى فقال: ﴿إِنَّمَا

﴿يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: ١٠].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فوعد اللّه الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند اللّه، وأنه معين على كل الأمور. أهـ

واعلم وفقني الله وإياك أن صبرك على إخوان منهجك، ومن تشترك معهم في العقيدة الصافية، والمنهج السوي، أولى من غيرهم، فإنهم أحق الناس بصبرك وتحملك، قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

❁ ❁ ❁ ❁

احترام أهل العلم والرجوع إليهم وسماع توجيهاتهم

إن الشرع قد وضع لأهل العلم مكانة عالية تستوجب احترامهم وتقديرهم، والرجوع إليهم، فهم حملة الشرع، وبهم يحفظ الله الدين، ويستنير الأجيال، ويُخمد أهل الضلال، وهم ورثة الأنبياء، وجعلهم الله على وحدانيته شهداء، وقد رفع الله مكانتهم، وأعلا قدرهم، فالاستهانة بهم خطره عظيم وليس بالأمر اليسير قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨] قال القرطبي رحمه الله: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم ؛ فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء. أهـ

وقد أمر الله بالرجوع إليهم فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣] قال السعدي: وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله. اهـ

وقد ذم الله في كتابه من لا يرجع إلى أهل العلم سيما عند الفتن فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ

يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾

[النساء:٨٣] قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. أهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. أهـ

ومن هنا نعلم أهمية الرجوع إلى أهل العلم وسماع توجيهاتهم وأخذها بعين الاعتبار، فإن في ذلك أمان بعد الله من الفتن والزلل، وفي الآية دليل على عدم مسابقة أهل العلم والتقدم بين أيديهم، فسر أيها الكريم بسيرهم، واقتفِ أثرهم، والزم غرزهم تنجو وتسلم بإذن الله.

قبول النصيحة والرجوع إلى الحق

ومما ينبغي للداعية التحلي به قبول النصيحة والرجوع إلى الحق فإن ذلك دليلُ الرَّشَد، ورجحان العقل، وعلامة التواضع، فإن راجِح العقل كامل النُّهَى إذا وقعَ فيما يشينُه فنُصح انتصح وأقصرَ وانتهَى وارتدعَ وانثنَى، وأسرعَ إلى الإجابة وأظهرَ التوبةَ والإنابةَ.

وعدم قبول النصح، علامة الكبر ومن سمات أهل النفاق والعياذ بالله قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦] قال بعض أهل التفسير: أي وإذا نُصِح ذلك المنافق المفسد، وقيل له: اتق اللّه واحذر عقابه، وكُفَّ عن الفساد في الأرض، لم يقبل النصيحة، بل يحمله الكبر وحميَّة الجاهلية على مزيد من الآثام، فَحَسْبُه جهنم وكافيته عذابًا، ولبئس الفراش هي.

وقال القرطبي: هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوًا، ويُكره للمؤمن أن يوقعه الحرج في بعض هذا. أهـ

فلا ينبغي للداعية إلى الله أن يأنف من قبول النصيحة، ولو كانت ممن دونه، والأقبح من ذلك أن يتخذ المنصوح الناصح عدوًا وربما خاصمه وهجره وشنع عليه، وهذه صفة لا تليق بالمسلم فرضًا عمن تصدر للدعوة إلى الله والله المستعان.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: فمن نصحك من أولادك أو من جيرانك

أو من إخوانك أو من خُدّامك أو من غيرهم، ونصيحتهم موافقة للشرع فقل: جزاك الله خيرًا، وبادر بالخير لا تتكبر، فالمؤمن يعظّم أمر الله ويقبل الحق ممن جاء به ولا يتعالى ولو كان من جاء به أقل منه[١]. أهـ

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فعلى المسلم أن يتبع هدى النبي ﷺ في قبول الحق ممن جاء به من ولي، أو عدو، وحبيب وبغيض، وبر وفاجر، ويرد الباطل على مَن قاله كائنًا من كان .[٢] أهـ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **أيضًا**: «فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحقِّ حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممَّن هُدِي لما اختلف فيه من الحق[٣]. أهـ

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن هنا قال بعض السلف: التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به وإن كان صغيرًا! فمن قبل الحق ممن جاء به، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، وسواء كان يحبه أو لا! فهو متواضعٌ، ومن أبى قبول الحق تعاظمًا عليه، فهو متكبر .[٤] أهـ

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** ﷺ **قال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»**.

واعلم رعاك الله أن الإذعان للنصح والرجوع إلى الحق، والتسليم بالخطأ،

---

(١) نصيحة هامة إلى جميع الأمة: ٦٨ -٧٠.

(٢) إعلام الموقعين: ١/ ١٠٤-١٠٥.

(٣) الصواعق المرسلة ٢/ ٥١٦.

(٤) جامع العلوم: ٢/ ٢٧٥ وما بعدها.

وعدم الانتصار للنفس مما ينبغي أن يتحلى به كل داعية، حتى يحقق الداعي ثمرة دعوته، ويتوصل بذلك إلى النتيجة المرجوة بإذن الله، فالحق ضالة المسلم، فهو أحق به من غيره، فمتى ما بلغه الحق أو أدرك الخطأ بادر إلى الامتثال للأمر، وصحح الخطأ، وهذا شأن من تحرر من عبودية غير الله، وجعل كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ له زمامًا وخطامًا، وهو شأن المؤمن الحق الذي رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًا رسولًا، وهذا هو معنى الإسلام فمن سلَّم لأمر الله وأمر رسوله وانقاد له فهو المؤمن الحق، قال الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. ورد الحق ومحاولة تبرير الخطأ من شأن أهل الكبر المتوعدين بالنار وإمامهم إبليس، قال الله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٦٥]، وردُّ الحق بعد تبينه الباعث له الكبر، والكبر خلق مذموم، ووعيده شديد، لأنه تكبرٌ على الحق، وإن كان الأمر المردود يسيرًا عند المتكبر، فالعبرة ليست بالعمل إنما بالتكبر والعياذ بالله.

وانظر إلى حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم (أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه إلا الكبر قال فما رفعها إلى فيه**»).

❀ ❀ ❀ ❀

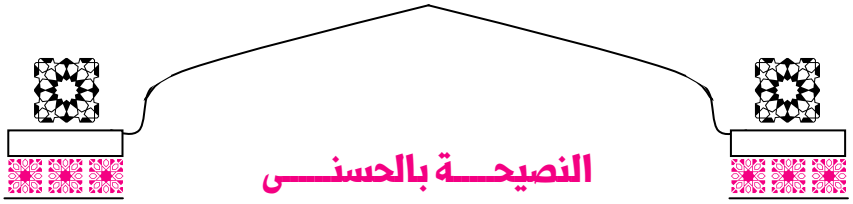

النصيحـــة بالحسنـــى

وإذا أردت قبول نصيحتك، واستماع المنصوح لتوجيهك، فاختر لنصحك أحسن الكلام، وأنسب الوقت والزمان، وأجمل النصح ما كان سرًا بدون تعنيف، أو تحقير وازدراء، وكلما خلت النصيحة من الشدة والغلظة وتحلت بالرفق واللين وإظهار الشفقة على المنصوح، والبعد عن صيغة الأمر، وما يفيد التهديد والوعيد، كان لها الأثر البالغ بإذن الله.

وانظر إلى توجيه الله لنبيه موسى عليه السلام لما أراد إرساله إلى فرعون الذي ادعى نفي الألوهية عن غيره وادعى لنفسه الربوبية، قال له جَلَّجَلَالُهُ وهو يخاطبه هو وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين. أهـ

وقال السعدي رحمه الله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه. أهـ

فإذا كان الله أمر بالقول اللين مع من نادى بربوبية نفسه، ونفى الألوهية عن غيره، فإن المسلم الموحد أولى بالرفق، والقول الحسن.

واعلم وفقك الله أن هناك ضوابط للنصيحة فإن التزمتها قبل نصحك، وكان له تأثير في نفس المنصوح إن شاء الله ومنها:

الإخلاص في النصيحة: وأنك تريد بها وجه الله تعالى، لا أغراضًا دنيوية من رياء وسمعة وحب شهرة وغيرها، أو عيب المنصوح والحط من قدره، فإن النفس البشرية مجبولة على عدم قبول الإهانة ممن كانت.

ومنها أن تكون عالمًا بما تنصح به: فلا تنصح بما لا تعلم، وما أنت جاهل فيه، فقد نهى الله عن القول بلا علم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومنها عدم الجهر بالنصيحة: فالمطلوب الإسرار بها وأن تكون بينك وبين المنصوح، فإن ذلك أوقع في الفؤاد، وإذا وجدت أن المنصوح لم يسمع لك، فانظر غيرك ممن قد يستمع لنصحه ممن هو أقرب إلى قلبه، ولا يكن هذا سبب للتشهير المنصوح، وقد اشتهر عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النَّصِيحَة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

وقال يحيى بن مَعِين: ما رأيت على رجل قط خطًا إلا سترته، وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلًا في وجهه بأمر يكرَهُه، ولكن أُبيِّن له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك مني، وإلا تركته[(١)].

وقال ابن رجب: كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرًّا حتى قال

(١) تهذيب الكمال للمزي ٣١ / ٥٥٩.

بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبَّخه. (١) أهـ

وقال ابن حزم: إذا نصحت فانصح سرًّا لا جهرًا، أو بتعريض لا بتصريح، إلا لمن لا يفهم، فلا بدَّ من التصريح له. (٢)أهـ

إلا إذا دعت الحاجة للنصح علانية، كان النصح علانية، ويبقى أن النصح الأصل فيه عدم الجهر.

ومنها مراعات الوقت والمكان المناسب: فلا تنصح في وقت يكون فيه المنصوح في حالة غضب، فإن ذلك لن ينفعه نصحك وربما قابله بالإساءة.

ومنها الرفق واللين: قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقال تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥] وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال ابن كثير: يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إلم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نُهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة فإن الشيطان ينزغ في يده أي

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٤.
(٢) رسائل ابن حزم ٣٦٤.

فربما أصابه بها. اهـ وسيأتي بأوسع من هذا بمبحث خاص إن شاء الله.

ومنها أن لا تكون النَّصِيحَة على شرط القبول: قال ابن حزم: لا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه الوجوه، فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، ولكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبيده. (١).

❀ ❀ ❀ ❀

(١) رسائل ابن حزم ٣٦٤.

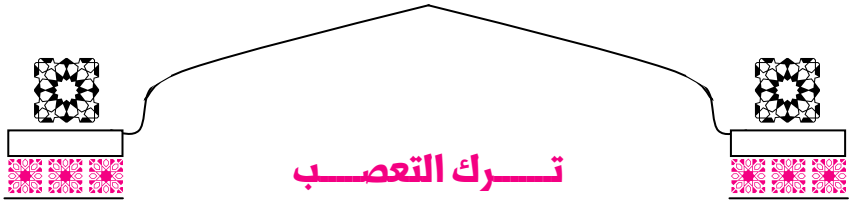

تـــــرك التعصـــب

واعلم أيها الداعية الكريم أن التعصب ظاهرة خطيرة، وتعد من أخطر الأمراض الدعوية، فالمتعصب لرأيه، أو لجماعته، أو لشخص من الناس، أكثر تصلبًا في الباطل، وينظر لغيره نظرة دونية، ومهما سقت له من الأدلة فلن يجدي ذلك معه نفعًا إلا أن يشاء الله، لأن التعصب غالبًا سيَّما من يتعصب لرأيه، مبني على الكبر وأنه أدرى بالأمر من غيره.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا التعصُّب لأمر من الأمور بلا هُدًى من الله، فهو من عمل الجاهلية؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠][(١)]. أهـ

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: والمتعصِّب وإن كان بصره صحيحًا؛ فبصيرتُه عمياء، وأُذُنُه عن سماع الحق صمَّاء، يدفع الحق، وهو يظُنُّ أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق، غفلة منه وجهلًا بما أوجبه الله تعالى عليه من النظر الصحيح، وتلقِّي ما جاء به الكتاب الكريم، والسنة المطهَّرة بالإذعان والتسليم[(٢)]. اهـ

فيجب على الداعية التجرد للحق، والانصياع له، دون تردد، وهذا ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويا للأسف أن تجد بعض طلبة العلم مُتعصبًا لرأيه، أطلقَ

---

(١) الفتاوى، ٢ / ٤٤٤.

(٢) فتح القدير، ٣ / ٨٨.

لسانه في إخوانه يتّهم النيات، ولا يحتمل رأي المخالف ولو كان حقًا، بل لأجل تعصّبه يتخلّى عن قيم الدين، وخُلق السلف، بالتأليبِ والمشاغبة لمن خالف رأيه، ويقلبُ الحقائقَ برؤيتِه الخاطئة، ويُقسّمُ بفعله المجتمع السلفي فِرقًا وأحزابًا.

والتعصبُ للرأي يحرمُ صاحبَه معرفةَ الحقِّ وتأييده ويعميه تعصبه عن رؤيته للحق، وانظر إلى ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله: ما ناظرتُ أحدًا إلا قلت: اللهم أَجْرِ الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعَني، وإن كان الحق معه اتبعتُه.

وقال أيضًا: ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببتُ أن يوفَّق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبالِ بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه(١).

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله، ولا يفرق بين الناس، وأن لا يكون متعصبًا لمذهب دون مذهب، أو لقبيلة دون قبيلة، أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه، وإن خالف رأي فلان أو فلان أو فلان، ولما نشأ في الناس من يتعصب للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أولى من مذهب فلان، جاءت الفرقة والاختلاف، حتى آل ببعض الناس هذا الأمر إلى أن لا يصلي مع من هو على غير مذهبه، فلا يصلي الشافعي خلف الحنفي، ولا الحنفي خلف المالكي ولا خلف الحنبلي، وهكذا وقع من بعض المتطرفين المتعصبين، وهذا من البلاء ومن اتباع خطوات الشيطان، فالأئمة أئمة هدى، الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة حق،

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١١٨.

دعوا الناس إلى دين الله وأرشدوهم إلى الحق، ووقع هناك مسائل بينهم، اختلفوا فيها لخفاء الدليل على بعضهم، فهم بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد، فعليك أن تعرف لهم قدرهم وفضلهم وأن تترحم عليهم، وأن تعرف أنهم أئمة الإسلام ودعاة الهدى، ولكن لا يحملك ذلك على التعصب والتقليد الأعمى، فتقول: مذهب فلان أولى بالحق، بكل حال، أو مذهب فلان أولى بالحق لكل حال لا يخطئ، «لا» هذا غلط، عليك أن تأخذ بالحق، وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلانًا، وعليك أن لا تتعصب وتقلد تقليدًا أعمى، بل تعرف للأئمة فضلهم وقدرهم، ولكن مع ذلك تحتاط لنفسك ودينك، فتأخذ بالحق وترضى به، وترشد إليه إذا طلب منك، وتخاف الله وتراقبه جَلَّوَعَلَا، وتنصف من نفسك، مع إيمانك بأن الحق واحد، وأن المجتهدين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد -أعني مجتهدي أهل السنة، أهل العلم والإيمان والهدى-كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ(١).

❀ ❀ ❀ ❀

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١/ ٣٢٤.

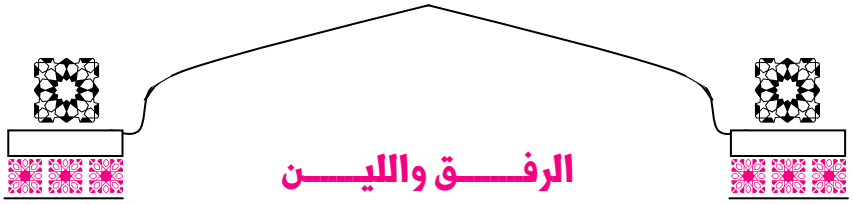

الرفـــــق والليـــــن

وهذا من أجل مكارم الأخلاق وأنبلها وأزكاها، فما كان في شيء إلا جمَّله وحسَّنه، والرفق يُزين المرء ويُجمِّله عند الله تعالى وفي أعين الناس، وبالرفق استطاع الرسول ﷺ أن يكسب حب أصحابه، وأن يتألف أجلاف العرب وصناديد الكفر، فدخلوا في دين الله أفواجا، واصبحوا للإسلام جنودا وقادة، وقد تظافرت الأدلة على أفضليته، وأهمية التحلي به، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه**». رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعنها في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**». وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**». رَوَاهُ مُسلِمٌ.

قال الإمام ابن باز رحمه الله عند هذه الأحاديث من رياض الصالحين: فهذه الأحاديث كلها تتعلق بالرِّفق وعدم العجلة وعدم الشدة في الأمور، يقول ﷺ: «**إنَّ الله يُحبّ الرِّفقَ في الأمر كله كما تقدم**»، ويقول ﷺ: «**إنَّ الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزع من شيءٍ إلَّا شانه**»، فالإنسان في الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف، وفي النَّهي عن المنكر، وفي ملاحظة أحوال أهل بيته، ومع جيرانه؛ كل ذلك بالرفق، في دعوته، وأمره، ونهيه، ونصيحته، وغير ذلك، عليه أن يتحرَّى الرفق في الأمر كله؛ لأنَّ هذا أجدى وأنفع من الشدة والغلظة. ويقول ﷺ: «**يسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»، ولما بال أعرابيٌّ في المسجد هَمَّ به الناسُ أن يقعوا به، فمنعهم النبيُّ ﷺ، ثم قال: «**أريقوا على بوله سجلًا من**

ماءٍ، إنما بُعثتم مُيَسِّرين، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين»، ثم دعاه ونصحه وقال له: «**إنَّ هذه المساجد لا يصلح فيها شيءٌ من هذا البول والقذر، وإنما بُنيت لذكر الله وقراءة القرآن والصلاة**»، فعلَّمه ما ينفعه، وأمر الصحابة أن يرفقوا به؛ لأنه أعرابيٌّ جاهلٌ، فينبغي في الدعوة إلى الله التيسير والتَّسهيل وعدم الشدة في الأمور.

وهكذا في حديث جرير يقول ﷺ: «إنَّ الله يُحبّ الرفقَ في الأمر كله، فالمؤمن رفيقٌ في أموره: في دعوته، في أمره، في نهيه، في إصلاحه بين الناس، وفي غير هذا من شؤونه، مع أهل بيته، ومع جيرانه، ومع غيرهم؛ فإنَّ الله يُعطي على الرفق والحكمة والتَّواضع ما لا يُعطي على العنف والشدة والغلظة». أهـ

وقال القرطبي رحمه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه ؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: فقولا له قولا لينا. فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه. اهـ

وقال العلامة ابن باز رحمه الله: من الأخلاق التي ينبغي لك أن تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليمًا في دعوتك، رفيقًا فيها، متحملًا صبورًا، كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] الآية وقوله جَلَّ وَعَلَا في قصة موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه:٤٤] وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق**

بهم فارفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه» خرجه مسلم في الصحيح، فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليمًا صبورًا، سلس القياد لين الكلام، طيب الكلام حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لا بد من الرفق كما قال عليه الصلاة والسلام: إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه وقال عليه الصلاة والسلام: من يحرم الرفق، يحرم الخير كله فعلى المسلم في دعوته الرفق والأسلوب الحسن حتى يستجاب له، وحتى لا يقابل بالرد أو بالأسلوب الذي لا يناسبه، فإن بعض الناس لما عنده من الشدة وسوء الخلق قد يقابل بالشتم والسب الذي يزيد الطين بلة، فمتى كان الداعي إلى الله ذا أسلوب حسن، حكيما رفيقا، فإنه لا يعدم قبول دعوته، أو على الأقل الكلام الحسن والمقابلة الحسنة من المدعو الذي يرجى من الرفق به أن يتأثر بدعوته ويستجيب لها، والله المستعان(٢).

تنبيه: لا يفهم مما سبق أن الدعوة بالرفق واللين هي الصورة الوحيدة للدعوة، بل هناك أحوال لابد فيها من الشدة والغلظة، فإذا انتُهكت حرمات الله، أو ظهر عناد أو استخفاف واستهزاء بالدعوة، أو بدرت مخالفة الشرع ممّن لا يتوقع منه ذلك، ففي تلك الأحوال يلجأ إلى الدعوة بالقسوة والشدة، وأمثلة ذلك معروفة، ويبقى أن الرفق واللين هو الأصل في الدعوة إلى الله ولا يلجأ الداعية إلى غيره إلا عند الحاجة وبالقدر المناسب للحال والمقال.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١/ ٣٢٤.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٤/ ٢٢٦.

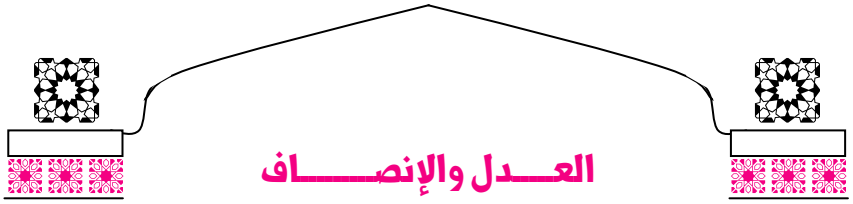

العـــدل والإنصـــــاف

والعدل والإنصاف من الصفات المهمة للداعية، وذلك حتى يكون قدوة حسنة للمدعوِّين، ويكون محلَّ ثقة وتقدير واحترام بينهم، ومن كانت هذه صِفته من الدعاة فأحرى أن يقبل الناسُ دعْوتَه، ويتأثروا بقوله، وينقادوا له، ويسمعوا منه.

وقد أمَر الله جَلَّوَعَلَا بالعدل في غير ما آية؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

وبين النبي ﷺ فضله، ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال ﷺ: «**إنَّ المُقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يَمين الذين يَعدلون في حُكمهم وأهليهم، وما وَلُوا**».

وقد حث أهل العلم على الإنصاف قديمًا وحديثًا وبينوا أهميته ومن ذلك ما

قاله ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: من بركة العلم وآدابه: الإنصاف فيه، ومَن لَم يُنصف، لَم يَفهم ولَم يتفهَّم(١).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: أفضلُ نِعَم الله على العبد أن يطبعه على العدل وحبِّه، وعلى الحقِّ وإيثاره(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: روى يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت ابن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف. قلت: هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام وطلب فيه العلم للرياسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى. اه(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حِلْيَة تحلَّى بها الرجل، خصوصًا مَن نصَّب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، فوَرَثة الرسول ﷺ مَنصبهم العدل بين الطوائف، وألاَّ يَميل أحدُهم مع قريبه وذَوِي مذهبه وطائفته ومَتبوعه، بل يكون الحقُّ مطلوبَه؛ يَسير بسيره، ويَنزل بنزوله، يَدين العدل والإنصاف، ويُحكِّم الحُجَّة، وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فهو العلم الذي قد شمَّر إليه، ومطلوبه الذي يحوم بطلبه عليه، ولا يَثني عِنانَه عنه عذلُ عاذلٍ، ولا تأخذه فيه لومةُ لائمٍ، ولا يَصدُّه عنه

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٥٨.

(٢) الأخلاق والسير لابن حزم ١٧٩.

(٣) الجامع القرطبي عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

قولُ قائلٍ»؛ انتهى كلامه(١).

فاحذر أيها الكريم أن يحملك اختلافك مع أحد من الناس على ظلمه، والفجور في خصومته، والأسوأ من ذلك، أن تسعى إلى التشويه به، والبحث عن عيوبه، ونشر ما كان عليه قبل استقامته، أو مالا يتعلق بماهية الخلاف معه، أو تقويله مالم يقل، فإن ذلك من الإجحاف، وعدم الإنصاف، والله المستعان.

وإن أردت الإنصاف فعامل الناس مثل ما تحب أن تُعامل قال ابن حزم: من أراد الإنصاف، فليتوهم نفسه مكان خصمه؛ فإنه يلوح له وجه تعسفه. (٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: والإنصاف أن تكتال لمنازعك بالصاع الذي تكتال به لنفسك؛ فإن في كل شيء وفاء وتطفيفًا(٣).

ومما يقع فيه بعض الناس وللأسف، أن يرى أو يسمع منك بعض ما لا يصلح، أو ما يفهمه في حينه خطأً، فيسكت في وقت صحبتك له، فإذا اختلفت معه نشر ذلك علانية، فإذا لم يكن هذا من الفجور والإجحاف، وعدم العدل والإنصاف فما هو.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٧٨.
(٢) الأخلاق والسير ص: ٨٠.
(٣) تهذيب السُّنن ١/ ١٢٢.

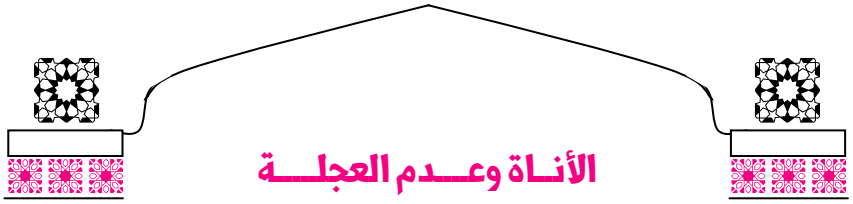

الأنـاة وعـــدم العجلـــة

والأناة أو التأني صفة العاقل الموفق، فلا يقدم على فعل ولا يقول قولًا إلا بعد تأني وتروٍّ ونظر، فيوفق في قوله وفعله بإذن الله، وهي صفة يحبها الله ففي مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك خَصْلَتين يُحِبُّهما الله: الحِلْمُ والأناة**».

وبيَّن النبي ﷺ أن الأناة من الله وأن العجلة من الشيطان كما ثبت ذلك من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي، وجاء عن أنس عند البيهقي وأبي يعلى وغيره بلفظ، التَّأنِّي مِن الله، والعَجَلة مِن الشَّيطان (١).

قال ابن القيِّم: العَجَلَة مِن الشَّيطان فإنَّها خفَّةٌ وطيشٌ وحدَّةٌ في العبد تمنعه مِن التَّثبُّت والوقار والحِلْم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشُّرور، وتمنع عنه أنواعًا من الخير (٢).

وعن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**التُّؤدة في كلِّ شيء خيرٌ إلَّا في عمل الآخرة**». أخرجه أبو داوود وصححه الألباني.

وفي الترمذي عن عبد الله بن سرجس المزني، أن النبي ﷺ قال: «**السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة**» (٣).

---

(١) صحيح الجامع للألباني رقم ٣٠١١.

(٢) الروح ٢٥٨.

(٣) صحيح الجامع للألباني رقم ٣٠٠٩.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة ثم العجلة المذمومة هي ما كان في غير طاعة ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: إذا انحرفت عن خلق الأناة والرفق انحرفت إما إلى عجلة وطيش وعنف، وإما إلى تفريط وإضاعة، والرفق والأناة بينهم(٢).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله **عند قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] خلقها في ستَّة أيام والله أعلم لحكمتين:... الثَّانية: أنَّ الله علَّم عباده التُّؤدة والتَّأنِّي، وأنَّ الأهم إحكام الشَّيء لا الفراغ منه، حتى يتأنَّى الإنسان فيما يصنعه، فعلَّم الله -سبحانه عباده التَّأنِّي في الأمور التي هم قادرون عليها. أهـ

ومن توفيق الله للداعية إلى الله أن يوفق للأناة، فلا يتعجل سيَّما في حكمه على غيره، بل يتثبت ويحتمل العذر بقدر الاستطاعة.

وأقبح العجلة ما تكون بين يدي أهل العلم فتجد العالم محجمًا في أمر من الأمور لمصلحة يراها، أو لعدم اتضاحها، فينبري لها بعض من ابتلوا بالتسرع والعجلة، ويطلقون الأحكام، ويبنون على ذلك الولاء والبراء، دون الرجوع لأهل العلم، فيفسدون أكثر مما يصلحون والله المستعان.

وقد ذم الله من يتسرع في نشر الأخبار ويخوض فيها دون الرجوع إلى أهل الشأن والاختصاص فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) انظر التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي عند هذا الحديث.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣١٠.

﴿وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣] قال السعدي رحمه الله: هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها.

وقال رحمه الله: وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟.

❁ ❁ ❁ ❁

التواضع وخفض الجناح

وهذه من أهم صفات الداعية الناجح فالناس بطبيعتهم لا يتقبلون المتكبر عليهم، الناظر لنفسه أنه فوقهم وهم دونه، لذا أمر الله نبيه ﷺ بخفض الجناح لتقبل دعوته ويكثر أنصاره فقال سبحانه مخاطبًا له وهو خطابٌ لكل مسلم ولكل داعية على وجه الخصوص: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥].

قال السعدي رحمه الله: وقد فعل ﷺ، ذلك كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد. فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلًا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول؟ إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم وبغضهم!! لا لين عنده ولا أدب لديه، ولا توفيق، وقد حصل من هذه المعاملة من المفاسد وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسه ورفعها وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله وتزيين الشيطان وخدعه له. اهـ

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر وضرب لنا أروع الأمثلة في تواضعه وخفض جناحه فكان ﷺ جمَّ التَّواضُع، لا يعتريه كِبرٌ ولا بَطَرٌ على رِفْعَة قَدْرِه وعلوِّ منزلته،

يخفض جناحه للمؤمنين ولا يتعاظم عليهم، ويجلس بينهم كواحد منهم، ولا يُعْرَف مجلسه مِن مجلس أصحابه؛ لأنَّه كان يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويجلس بين ظهرانيهم فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل عنه.

وكان من تواضعه ﷺ أنه يتفقد أحوال أصحابه ويسأل عنهم ويزورهم، وربما قام على خدمتهم، وتأتيه المرأة فتأخذ بيده في سكك المدينة حتى يقضي لها حاجتها، ويمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكان ﷺ يشارك في خدمة أهله، وكان ﷺ يستجيب للدعوة ممن كانت، ويقبل الهدية دون النظر إلى قيمتها وما تحتوي عليه.

فهذا نبينا وقدوتنا ﷺ خير الخلق وأزكاهم، وأعلاهم نسبًا، وأشرفهم مكانةً، وأرفعهم قدرًا.

واعلم وفقني الله وإياك أن المتكبر لا يوفق للخير ويحرم منه إلا أن يتداركه الله بهداية وتوفيق، فضلًا على أن يكون في مرتبة الدعاة، قال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣] ولا يزداد المتكبر إلا نقصًا في الدنيا والآخرة بينما المتواضع يزداد رفعة وفي الحديث: وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا. أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

قال الشافعي رحمه الله: «التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة[(١)].

فاحذر أيها الداعية الكريم من التكبر والتعالي، والغطرسة والغرور، وأن

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٩)..

يحدثك الشيطان أنك خير من الغير.

ومن أقبح التعالي تعالي الطالب على شيخه، والأنفة من سماع توجيهاته، ومن كان هذا حاله سقط وتلقفته الفتن، وغرق في بحر كبره واستعلائه.

ومن صور الاستعلاء القبيحة، استعلاء الشخص على إخوانه وأقرانه وزملائه في الطلب، واحتقارهم، ومحاولة إظهار نفسه عليهم، ومدحه لنفسه أمامهم بأنه الأذكى والأحسن، وأنه الثابت في الفتن، والمُجد في الطلب، وغير ذلك مما ينفخ به الشيطان في مناخر ذوي الطيش والله المستعان.

ومما يجدر الإشارة إليه، ما يقع فيه بعض الدعاة هداهم الله من الفرح بالمدح والثناء، وربما سعى البعض إلى كسب ذلك، وهذا يورث الكبر وحب الاستعلاء إلا أن يشاء الله، والأقبح من هذا، من يلزم طلابه بمخاطبته بعبارات المدح والثناء، فتجده يغضب إذا نودي باسمه أو بكنيته والله المستعان.

قال ابن القيم رحمه الله: فصل: لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي القلب، ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس، إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، والضب والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص فَأقبل على الطمع أَولا فاذبحه بسكين الْيَأْس، وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص، فَإِن قلت وَمَا الَّذِي يسهّل عَليّ ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح؟، قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عَلَيْك علمك يَقِينا أَنه لَيْسَ من شَيْء يطْمع فِيهِ إِلَّا وبيد الله وَحده خزائنه لَا يملكهَا غَيره، وَلَا يُؤْتى العَبْد مِنْهَا شَيْئا سواهُ، وَأما الزهد فِي الثَّنَاء والمدح فيسهله عَلَيْك علمك أَنه لَيْسَ أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إِلَّا الله وحده، كَمَا قَالَ ذَلِك الْأَعرَابِي

للنَّبِي إِن مدحي زين وذمي شَيْن فَقَالَ ذَلِك الله ﷻ، فازهد فِي مدح من لَا يزينك مدحه، وَفِي ذمّ من لَا يشنيك ذمّه، وارغب فِي مدح من كل الزين فِي مدحه، وكل الشين فِي ذمه، وَلنْ يقدر على ذَلِك إِلَّا بِالصبر، وَالْيَقِين، فَمَتَى فقدت الصَّبْر وَالْيَقِين كنت كمن أَرَادَ السّفر فِي الْبَحْر فِي غير مركب، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]. اهـ(١).

❋ ❋ ❋ ❋

(١) الفوائد لابن القيم ١٤٩ ط العلمية.

مخاطبة الناس بما يعقلون

من فقه الداعية الموفق مخاطبة كل فرد وكل مجتمع بما تستوعبه عقولهم ولا ينفرون عنه، فإن الناس إذا خوطبوا بما لا يفهمون، أو يشتبه عليهم ويصعب فهمهم له، كان ذلك ذريعة للتكذيب ورد الحق، وعدم تصديقه، وفي صحيح البخاري، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ قال ابن حجر في الفتح عند هذا الأثر: وفيهِ دليل على أَنَّ الْمتشَابه لا ينبغِي أَنْ يُذكر عند الْعامَّة. أهـ

وهذه قاعدة مهمة فيما يقال وينشر، والداعية الحكيم يعرف مواطن الكلام النافع والضار، فقد يكون الكلام نافعًا في موضع، ضارًا في موضع آخر.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ويستفاد من هذا الأثر: مهمة الحكمة في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين، وينزّل كل إنسان منزلته. أحيانا نحدث بعض طلبة العلم نحدثهم بحديث طالب العلم عقله يعرفه إذا قال العامي اللي جنبك وش تقول؟ أتيت بحديث آخر، أتيت بحديث آخر يبلغه عقله، لأني لو أحدثه بحديث حدثت به طالب العلم الذي يدرك ويفهم لكان بالنسبة إليه ضررا عليه، كان ضررا عليه وفتنة له، فلهذا من مهمات الداعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون على علم بأحوال الناس، وكيف يمكن أن يُحدثوا بهذا الحديث أو لا يمكن[1].أهـ

وجاء في مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا

(١) انظر مجموع فتاوى العثيمين ١٠/ ٧٧٤ وما بعدها.

تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

وروي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ما أنت بمحدث الناس حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة(١).

ولما أخبر النبي ﷺ أبا هريرة: «**بأن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وخرج أبو هريرة ليخبر بذلك الناس، فكان أول من لقيه عمر، فأخبر عمر بذلك، فضربه عمر ضربة أسقطته على استه على الأرض، فرجع أبو هريرة مذعورًا إلى رسول الله ﷺ يقص عليه نبأ ما دار بينه وبين عمر، ودخل عمر في إثره، فقال: يا رسول الله! إذن يتكلوا ويتركوا العمل يا رسول الله! فقال الرسول ﷺ: «**إذًا: فلا تخبرهم يا أبا هريرة!**». ونحو ذلك حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ: «**لا تبشرهم فيتكلوا**». ولكن معاذًا أخبر بها عند موته تأثمًا، أي: خشية الوقوع في الإثم.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) انظر مقدمة صحيح مسلم ٧٦ ط دار الفكر بيروت.

تقديم مصلحة الدعوة على المصالح الشخصية

ومما ينبغي للداعية الحرص عليه: تقديم مصلحة الدعوة على المصالح الشخصية، وترك الأمور التي تشوه جمالها، والأسس التي بنيت عليها، فيجب على الداعية الاهتمام بمصلحة الدعوة، وألا يفرط فيها من أجل مصلحته الشخصية، فإن الدعوة أغلا ما يملكه الداعية، وهي الجوهرة الثمينة التي يجب أن تصان وتحفظ، فاحذر أيها المبارك أن تكون سببًا في زعزعتها، وتفريق أهلها.

فتجد البعض ممن يدعي الغيرة على الدعوة وأهلها إذا حصل له نوع من الأذى أو مُس جنابه بما لا يرضى، أرعد وأزبد، وقال مالا ينبغي، سيما في مواقع التواصل الاجتماعي التي يرتادها، كثير من شرائح المجتمع، فيقوم بنشر ما لا يُحتاج لنشره، وربما قال ما يُشمت الأعداء، ويُسلط ألسنة السفهاء، وما ذاك إلا انتقامًا لنفسه، وانتصارًا لهواه، والأسوأ من هذا أن يُساء إلى غيره بسببه، ويُقاس غيره عليه، وربما استغل كلامه بعض الحاقدين ليطعن في أهل العلم والفضل، قائلًا هذه أخلاق فلان العالم وهذه تربيته لطلابه،

فيا رواد وسائل التواصل الاجتماعي اتقوا الله وجنبوا صفحاتكم المهاترات الشخصية، والمماحكات الكيدية، وسخروها لنشر الخير والعلم، ولتعلموا أنكم موقوفون بين يدي الله، وأنه سائلكم عما تقولون وتنشرون.

تنبيه: وكلامنا هنا على تقديم مصلحة الدعوة على المصالح الشخصية كما هو موضح في العنوان، وقد أطلق أهل الضلال عبارة (مصلحة الدعوة) للَيِّ أعناق النصوص، وتمييع ما جاءت الأدلة بالحزم فيه، باسم المصلحة الدعوية، ويا لله العجب كم ضُيعت من سنن، وانتشرت من بدع، باسم مصلحة الدعوة، وكم استهين بكثير من المحرمات والمخالفات باسم مصلحة الدعوة، ومصلحة الدعوة الحقيقية، في استقامة حملتها على النهج القويم دون انحراف قليلًا أو كثيرًا، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله.

ومن تقديم مصلحة الدعوة عدم الانتصار للنفس في الدعوة: فاعلم وفقك الله أن من وطَّن نفسه للدعوة إلى الله، وإرشاد الناس للخير وتحذيرهم من الشر، يكثر عليه الأذى، فمن احتسب الأجر وترك الانتصار للنفس، وجنَّب دعوته حظوظ النفس، نفع الله بدعوته، وكان لما يقوم به وقع عظيم في قلوب المدعوين، وربما تأثر المؤذي فكف أذاه.

وترك الانتصار للنفس هدي نبوي فهذه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها. متفق عليه قال النَّوويُّ: قولها: «إلَّا أن تُنْتَهك حُرْمَة الله» استثناء منقطع، معناه: لكن إذا انتُهِكت حُرْمَة الله، انتصر لله تعالى، وانتقم ممَّن ارتكب ذلك، وفي هذا الحديث الحثُّ على العفو والحِلْم واحتمال الأذى، والانتصار لدين الله تعالى ممَّن فعل محرَّمًا أو نحوه، وفيه أنَّه يُسْتَحبُّ للأئمَّة والقُضَاة وسائر وُلاة الأمور التَّخلُّق بهذا الخُلُق الكريم، فلا ينتقم لنفسه، ولا يهمل حقَّ الله تعالى. أهـ

وانظر إلى موقف النبي ﷺ يوم الفتح، جاء فاتحًا ودخل منتصرًا مظفرًا، وفي

مكة قومٌ أخرجوه منها وهو يبكي، وقاتلوه، وحزبوا عليه الأحزاب، وألبوا عليه الأعراب، وجاءه قاتل عمه، ومع ذلك ما انتصر لنفسه، ولا استغل قوته ومكانته، وحاشاه ﷺ، فهو الكامل في خلقه وسلوكه.

فحري بك أيها الداعية الكريم الاقتداء بهديه، والاستنان بسنته، واتباع طريقته.

والانتصار للنفس جائز بشرط ألا يزيد عن المشروع، وعما سمح به الشرع، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ ولكن لا ينبغي للداعية أن يستغل مكانته الدعوية، فينتقم لنفسه بدعوى الجرح للمخالف ونيته أن ينتصر لنفسه لا لدينه، فإن هذا من الفجور في الخصومة والعياذ بالله.

ومما يقبح أن ينشغل المرء بالتنقيب في عيوب مخالفه لا لنصحه وتوجيهه، وإنما لإسقاطه والتشويه به، انتقامًا لنفسه، وإن كان الخطأ عنده والحق عند مخالفه، وهذه خصلة ذميمة، لا ينبغي للمسلم أن يتحلى بها فضلًا عن الداعية.

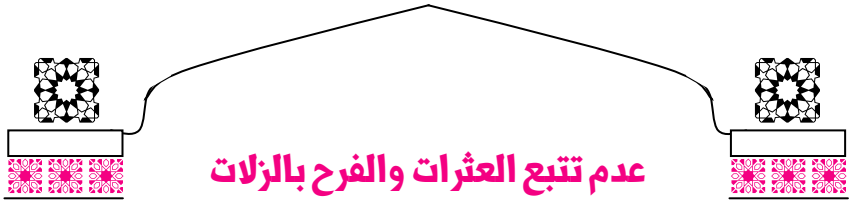

عدم تتبع العثرات والفرح بالزلات

ومما ينبغي للداعية البعد عنه، الانشغال بتتبع العثرات والبحث عن الزلات، بقصد الإسقاط والتشويه، فتجد البعض لا يروق لهم اجتماع الكلمة ووحدة الصف، وكلما نبغ في الخير نابغة، ممن عرف بالاستقامة وحسن السير، ذهبوا يفتشون عن مصادر الخطأ ومواقع الزلل، لا لينبهوه أو للحق يرشدوه!، وإنما ليشوهوا به يسقطوه!!، فأين هؤلاء من قوله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**». رواه أبو داوود وغيره من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وهو في الصحيحة للألباني. والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا.

قال صاحب عون المعبود: وفي الحديث أيضًا وعيد بكشف عيوب الذين يتتبَّعُون عورات المسلمين، ومجازاتهم بسوء صنيعهم، وكشف مساوئهم، ولو كانوا في بيوتهم مختفين من الناس». اهـ بتصرف

وقال العلامة ابن عثيمين: ومن النّصح أيضا لعلماء المسلمين، ألا يتّبع الإنسان عوراتهم وزلاّتهم وما يخطئون فيه، لأنهم غير معصومين، قد يزلُّون وقد يخطئون، وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التّوابون، ولاسيما من يتلقى العلم فإنه يجب أن يكون أبلغ الناس في تحمل الأخطاء التي يُخطئ بها شيخُه، وينبهه عليها،... إن الذين

يلتقطون زلاّت العلماء ليُشيعوها ليسوا مسيئين للعلماء شخصيا وحسب، بل مسيؤون للعلماء شخصيا، ومسيؤون إلى علمهم الذي يحملونه، ومسيؤون إلى الشريعة التي تتلقى من جهتهم، لأن العلماء إذا لم يثق الناس فيهم، وإذا اطلعوا على عوراتهم التي قد لا تكون عورات إلا على حسب نظر هذا المغرض، فإنهم تقلُّ ثقتهم بالعلماء وبما عندهم من العلم، فيكون في هذا جناية على الشرع الذي يحملونه من سنة الرسول عليه الصلاة السلام، ولهذا أقول: يجب أن نحمي أعراض علمائنا، وأن ندافع عنهم، ونلتمس العذر لأخطائهم. انتهى من شرح رياض الصالحين. أهـ

ومن أقبح الناس صنفٌ اشتغلوا بتتبع زلات علماء أهل السنة والجماعة وعوراتهم، بقصد التشويه بهم، والحط من قدرهم، قال ابن تيمية رحمه الله: ليس لأحد أن يتبع عورات العلماء ، ولا له أن يتكلم فيهم ، فمن عدل عن الحجة إلى الظن والهوى فهو ظالم ، وكذلك كل من آذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، ومن عظم حرمات الله ، وأحسن إلى عباده فهو من أولياء الله. اه [(١)].

وفرق بين من يذكر الخطأ ويبين الصواب، مع احترامٍ وتقديرٍ وإجلال، وبين من يذكر الخطأ ليشوه، ويطعن، ويستنقص، وربما سهر الليالي الطوال ليجرد مؤلفات العالم الفلاني، لا ليستفيد؟! وإنما ليبحث عن خطأ، ويتتبع مواضع الزلل، فإن وجد بغيته، طار بما رآه فرحًا، وذهب ليسأل أهل العلم قائلًا: ما رأيكم بمن يقول كذا وكذا؟! فيجيب المسؤول بما يظهر له من السؤال، فيذهب هذا المفسد ينشر الفتوى تحت عنوان (فلان يرد على فلان) ولا يخفى فساد من هذا طبعه، وما يتسبب به من فرقة بين أهل العلم، فلا كثر الله من هذه الأصناف، ولا صبحهم ولا مساهم.

---

(١) المسائل التي لخصها محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية ٣٦.

والأقبح من هذا كله أن يُفترى على أهل العلم، ويُنسب إليهم ما لم يقولوا قال العلامة ابن عثيمين رحمه في خطبة منشورة بعنوان الكذب على العلماء: ويتعاظم الكذب إذا كان كذبًا على أهل العلم فيما يكون من الفتاوى، أو فيما يقع عليهم مما لا أصل له، ولا حقيقة له، إن بعض الناس يشيعون عن بعض أهل العلم فتاوى لا حقيقة لها، أو أمورًا أخرى لا حقيقة لها، بل هي كذبٌ، ودجل، وتشويه، وإثارة للبلبلة، والإنسان يجب أن يعلم أنه مسؤول أمام الله تعالى عن كل كلمة ينطق بها. أهـ

الحفاظ على الأخوة والبعد عما يسبب الخلاف

اعلم وفقني الله وإياك أن الأخوة في الله، والحب في الله، من أعظم شعائر الدين، وأوثق عرى الإيمان، وقد تظافرت الأدلة على أهمية الحفاظ عليها، والبعد عما ينغصها، ويكدر صفوها.

ومن عظيم شأنها أن الله امتن على نبيه محمدٍ ﷺ بأنه ألّف بين قلوب أصحابه فقال سبحانه: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال:٦٢، ٦٣] وفي الآية دليل واضح أن النصر والتمكين لا يكون إلا بتوفيق من الله ثم بأخوة صادقة، ولهذا حرص النبي ﷺ على ترسيخ الأخوة منذ بداية قدومه المدينة.

لذا كان لزامًا علينا الحفاظ عليها أشد المحافظة، ومراعاة مصالحها ودرء مفاسدها حسب الضوابط الشرعية، وفق ما نص عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

قال الله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦] وقال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا،**

ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه». رواه مسلم.

ومما يحفظ الأخوة ويرسخها، البعد كل البعد عن أسباب تصدعها، كالانشغال بمسائل الخلاف، أو ما تسمى عند أهل العلم بالأغاليط، فإياك إياك أن تحرم بركة العلم، ونعمة الأخوة بالانشغال بالأغاليط.

وبعض الناس أصلحهم الله ليس له هم إلا الانشغال بالكلام والكتابة في المسائل الشاذة، والمشاكل الصعبة، التي تكثر الجدل، و تزيد الخصومات، وتفتح باب الطعونات، ولا تكاد تجد لبعضهم هما إلا الكلام في مثل هذه المسائل والخوض في تفاصيلها، وكثرة الكلام فيها.

وقد حذر أهل العلم قديما وحديثا من الانشغال بمثل هذه المسائل، وزجروا من يرونهم ينشغلون بها، وربما طردوهم من الجلوس في مجالسهم، أو ضربوا بعضهم، ولا يخفى على الكثير من المنتسبين للدعوة قصة صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن المتشابه في زمن الفاروق عمر فضربه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعراجين النخل حتى ذهب ما به.

وجاء عن الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط[(١)].

وعن يحي بن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: بلغني أن أهل العلم كانوا يقولون: إذا أراد

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٠٨٧).

الله ألا يعلِّم عبده خيرًا شغله بالأغاليط[١].

وجاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: إن شرار عباد الله الذين يجيئون بشرار المسائل يعنتون بها عباد الله[٢].

فلا ينبغي التشنيع في المسائل الخلافية، وأن يبنى على ذلك ولاء وبراء.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم تحت باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان: العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف، إذا لم يلزم منه إخلال بسنة، أو وقوع في خلاف آخر، وذكر أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، في كتابه الأحكام السلطانية خلافا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة: هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء، إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد، أم لا يغير ما كان على مذهب غيره؟ والأصح أنه لا يغير؛ لما ذكرناه، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره، وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصًا، أو إجماعًا، أ قياسًا جليًا. انتهى بتصرف.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) جامع بيان العلم (٢٠٩٩).
(٢) جامع بيان العلم (٢٠٨٤).

ترك تعيير التائب بما كان عليه قبل توبته

ومما يجب على الداعية البعد عنه ما يقع عند كثير من الناس ألا وهو تعيير التائب من ذنبه والمتراجع عن خطئه والشماتة به، وفاعل هذا قد ارتكب إثمًا أعظم من إثم المرتكب المشموت به، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته؛ لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة مِن الذَّنب، وأنَّ أخاك باء به، ولعلَّ كسرته بذنبه، وما أحدث له مِن الذِّلَّة والخضوع والإزراء على نفسه، والتَّخلُّص مِن مرض الدَّعوى والكِبْر والعُجْب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرَّأس، خاشع الطَّرف، منكسر القلب أنفع له، وخيرٌ مِن صولة طاعتك، وتكثُّرك بها، والاعتداد بها، والمنَّة على الله وخَلْقِه بها، فما أقرب هذا العاصي مِن رحمة الله، وما أقرب هذا المدِل مِن مقت الله، فذنب تَذِلُّ به لديه أحبُّ إليه مِن طاعة تدلُّ بها عليه، وإنَّك أن تَبِيتَ نائمًا وتصبح نادمًا خيرٌ مِن أن تَبِيتَ قائمًا وتصبح مُعْجَبًا؛ فإنَّ المعْجَب لا يَصْعَد له عملٌ، وإنَّك إن تضحك وأنت معترفٌ، خيرٌ مِن أن تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله مِن زجل المسبحين المدِلِّين، ولعلَّ الله أسقاه بهذا الذَّنب دواءً استخرج به داءً قاتلًا هو فيك ولا تشعر، فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلَّا هو، ولا يطالعها إلَّا أهل البصائر، فيعرفون منها بقَدْرِ ما تناله معارف البَشَر[(١)].

---

(١) مدارج السَّالكين ١/ ١٧٧.

والواجب علينا الفرح بتوبة التائب، ورجوع المخطئ، والأخذ بيده إلى الخير، لا تنفيره والتحجير عليه، ووضع اشتراطات ما أنزل الله بها من سلطان، وأن نبعد الحضوض النفسية، والمماحكات الشخصية، عن دعوتنا وأخوتنا، وقد أمرنا أن نكون ميسرين لا معسرين، ومبشرين لا منفرين، وانظر رعاك الله إلى ما فعله الصحابة لما أعلن النبي ﷺ قبول توبة كعب، وكيف هرع إليه البعض منهم ليهنئوه بتوبته وقام أبو طلحة رضي الله عنه إليه مهرولًا وعانقه، وقد نهى النبي ﷺ عن لوم وتقريع المذنبين حتى ولو كانوا من أصحاب الكبائر، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب**». اي ولا يوبخ ويلوم فيجمع بين الحد واللوم التوبيخ.

وانظر إلى ما فعله يوسف عليه السلام، لما جاءه إخوته، وقد اعترفوا بما ارتكبوه في حقه، ومع ذلك ما عيرهم، ولا وبخهم بل قال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

وقد أشرنا سابقًا أن مما يقع فيه كثير من الناس أنه إذا اختلف مع أحد ذهب ليفتش عن عيوب خصمه، وينقب في ماضي أمره، فإذا وجد بغيته مما لا يخلو منه أحد ولكل الناس ذنوب ومعاصي، طار بما رآه فرحًا، ونشره شامتًا، وأن هذا من الفجور في الخصومة، ومن محبة إشاعة الفاحشة والعياذ بالله.

❀ ❀ ❀ ❀

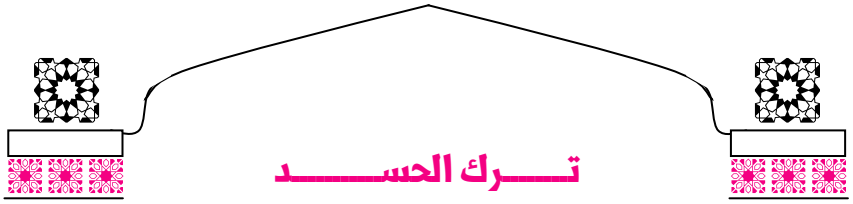

تـــــرك الحســـــــد

والحسد المذموم الذي جاءت الأدلة بذمه والنهي عنه، هو تمني زوال ما أنعم الله به على عبد من نعمة دين أو دنيا، ويشتد إثم ذلك ويعظم شره إذا بالغ الحاسد في زوال النعمة على المحسود بقول كالكذب والتأليف عليه، أو بفعل كمعاكسته بالأمور وإظهار أخطائه وسيئاته على وجه التنقيص والهدم لا على وجه الإصلاح والبناء، ولا ضير أن ينهى الإسلام عن الحسد، فإنه أول ذنب عُصي الله به.

قال العلامة العثيمين رحمه الله: الحسد خلق ذميم، ومع الأسف أنه أكثر من يوجد بين العلماء وطلبة العلم، ويوجد بين التجار فيحسد بعضهم البعض، وكل ذي مهنة يحسد من شاركه فيها، لكن مع الأسف أنه بين العلماء أشد وبين طلبة العلم أشد مع أنه كان الأولى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق. اهـ(١).

ويكفي في قبحه أن الله أمرنا أن نستعيذ من صاحبه فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قال السعدي: والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده. أهـ

(١) كتاب العلم لابن عثيمين ٥٦.

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال ابن عثيمين: والآية تدلُّ على تحريم الحسد؛ لأنَّ مشابهة الكفار بأخلاقهم محرمة... والحاسد لا يزداد بحسده إلا نارًا تتلظى في جوفه؛ وكلما ازدادت نعمة الله على عباده ازداد حسرة؛ فهو مع كونه كارهًا لنعمة الله على هذا الغير مضاد لله في حكمه؛ لأنَّه يكره أن ينعم الله على هذا المحسود، ثم إنَّ الحاسد أو الحسود مهما أعطاه الله من نعمة لا يرى لله فضلًا فيها؛ لأنَّه لابدَّ أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة. أهـ

وقال عزَّ مِن قائل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: والحسد مذموم، وصاحبه مغموم، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب... ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل. أهـ

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**».

❀ ❀ ❀ ❀

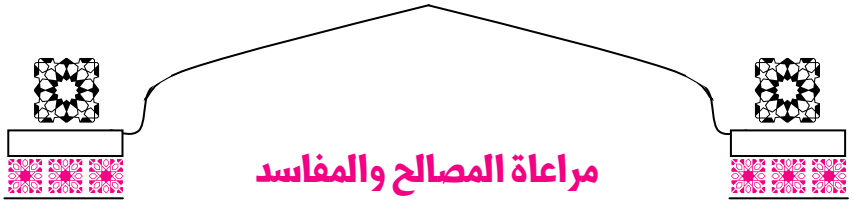

مراعاة المصالح والمفاسد

ومما ينبغي للداعية الحرص عليه، مراعات المصالح والمفاسد، وقد دلت الأدلة على ذلك فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو. أهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز[(١)].أهـ

وهذا النبي ﷺ يمتنع عن بناء الكعبة على ما كانت عليه مراعات للمصلحة، والحديث في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها: إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيما، فتركها ﷺ.

---

(١) إعلام الموقعين:٣ / ١١٠ .

وقال ابن حجر: وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة، وأن المفسدة إذا أمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة.

وقال ابن عثيمين عند هذا الحديث في شرحه للبخاري: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عرضت على النبي ﷺ أن يردها على قواعد إبراهيم ولكن النبي ﷺ ذكر مانعا وهو خوف الفتنة لأن قومها أي قريشًا كانوا حديثي عهد بكفر فلو هدمها ثم أعادها على قواعد إبراهيم وهي من بنائهم حصل بذلك فتنة، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح إذا لم تتعين المصالح وهنا ليست متعينة لأنهم والحمد لله جعلوا هذا الحجر وفي الحديث دليل على ترك الأفضل إلى المفضول خوفًا من المفسدة وهذه قاعدة عظيمة قعدها النبي ﷺ وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فنهى عن سب آلهتهم مع أنها جديرة بالسب خوفا من أن يسبوا من هو منزه عن السب وهو الله عَزَّوَجَلَّ. أهـ

ويشترط فيما سبق ألا يحل حرامًا، ولا يحرم حلالًا، أو يحدث محدثًا والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

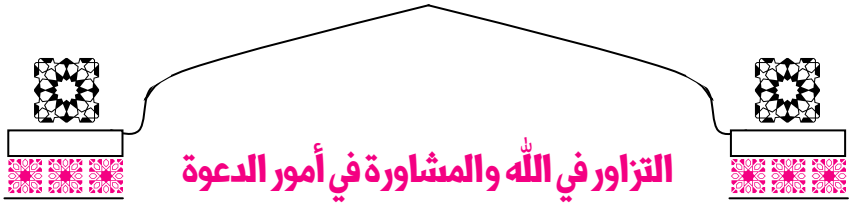

التزاور في الله والمشاورة في أمور الدعوة

ومما ينبغي على الدعاة إلى الله، التزاور فيما بينهم، والتشاور فيما يصلح وما لا يصلح في أمور الدعوة، وألا ينفرد الداعية بنفسه عن إخوانه، وينزوي في مسجده منفردًا برأيه، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

ولا يأنف من زيارة إخوانه ومشاورتهم من كان حريصًا على الألفة والأخوة، فهذا خير الخلق وأزكاهم، وأفضلهم، وأشرفهم، ﷺ، كان يزور أصحابه ويتفقدهم، ويستشريهم ويطلب رأيهم، وقد أمره الله بذلك فقال: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السعدي رحمه الله: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره...فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلا، وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا-: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ فكيف بغيره؟!. انتهى بتصرف.

وقد طبق النبي ﷺ هذا الأمر تطبيقًا عمليًا في كثير من المواقف والأحداث، فاستشارهم في بدر، وأحد والأحزاب، وأخذ برأيهم ﷺ، واستشار ﷺ أبا بكر وعمر في أسرى بدر وأخذ برأي أبي بكر رضي الله عنه، واستشارهما ﷺ في غزوة حمراء الأسد، فأشارا عليه بمطاردة المشركين لئلا يعودوا إلى المدينة، فأخذ باستشارتهما ﷺ، واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في مصالحة بعض المشركين في غزوة

الأحزاب على أن يعطيهم من ثمار المدينة ليرجعوا، فأشارا عليه بعدم ذلك، فقبل مشورتهما وأخذ بها، وأخذ برأي أم سلمة في الحديبية، وأمثلة ذلك كثيرة معروفة.

فاحذر أيها الكريم من الاستبداد برأيك، والشذوذ في موقفك، وشاور من تراه أهلًا للمشورة، ناصحًا، صالحًا، مصلحًا.

ومما يعاب ويقبح في حق الداعية، ركونه في مشورته لمن ليس أهلًا لها، أو لمن يوجد من هو خير منه، فتجده يترك مشاورة أهل العلم والفضل، ويلجأ لمشاورة العوام أو صغار الطلبة، ولك أن تتصور معي عاقبة ترك مشاورة أهل العلم والفضل والركون إلى من دونهم.

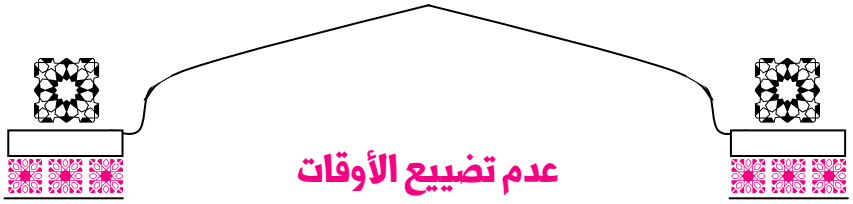

عدم تضييع الأوقات

ومما ينبغي للداعية الحرص عليه، هو الحفاظ على وقته، فيما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه وآخرته، لأن الوقت من أغلى ما يملكه الشخص، فإذا ذهب لا يعود أبدًا، ولا يمكن قضاؤه، والداعية جندي من جنود الرحمن، مرابط على ثغر من ثغور الإسلام، فلا يحق للجندي أن يغفل، وإلا وقع أسيرًا في أيدي الأعداء، وما أكثر أعداء الداعية والمتربصين به.

أخرج الإمام الترمذي وصححه الألباني من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ**». أي أن الإنسان يوم القيامة لا تزول قدمه حتى يسأل عن مدة عمره كيف قضاها، وعن فترة شبابه كيف ضيعها، وخص الشباب بالذكر مع أنه داخل في العمر، لأنه وقت القوة والنشاط، والشاب قد يستطيع القيام بما يعجز عليه من كبر سنه، فحري بالداعية أن يكون أبخل الناس بوقته، ويحرص ألا يضيعه.

واعلم وفقني الله وإياك أن العبرة كل العبرة في كيفية استثمار الوقت في طاعة الله وفيما يرضيه يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: السَنَة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعةٍ، فثمرة شجرته

طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مُرِّها[١].

وفي البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ».

❀ ❀ ❀ ❀

(١) الفوائد، لابن القيم، ١٦٤.

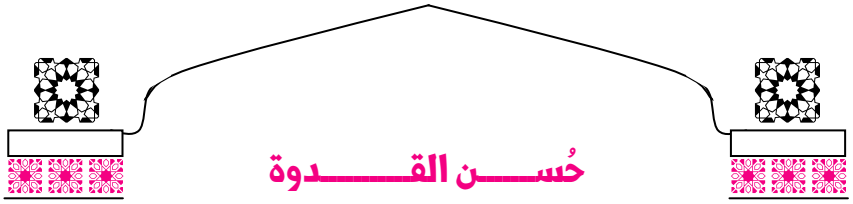

حُســـن القـــــدوة

واعلم وفقني الله وإياك أن مما يجب على الداعية التحلي به والحرص عليه، أن يكون حسن القدوة، لأن الدعوة بالفعل كالدعوة بالقول، بل قد تكون أحيانًا أبلغ من القول، فالقدوة الحسنة في الدعوة من الأساسيات التي يجب على الداعية الاهتمام بها، وقد نبه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ على أهمية القدوة الحسنة فقال: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلمّوا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له. فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق(١).

واعلم وفقك الله أن الناس تتفاوت فيما يسمعونه منك، لكن لا يتفاوتون فيما يرونه، فاحذر أن يراك الناس على خلاف ما تقول، فإن أمرت بأمر فكن أول المبادرين إليه، وإن حذرت من شيء فكن أول المبتعدين عنه، وبهذا تعلو مكانتك عند خالقك وعند من شاء من خلقه. وقد حرص أنبياء الله على أن يكونوا قدوة حسنة قال الله عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن كثير: لا أنهاكم عن شيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم، كما قال قتادة في قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ يقول: لم أكن لأنهاكم

(١) الفوائد ص ١٦.

عن أمر وأركبه.

ولما أراد النبي صلى عليه وسلم في الحديبية من أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم، بادر بذلك قبلهم، فتسابقوا على حلق رؤوسهم.

ولتعلم أيها الداعية الكريم، أنك تحت رقابة مجهرية من الأتباع وممن تدعوهم، فرب عمل لا تلقي له بالًا يعدونه من الكبائر، أو من الواجبات، لأنك في نظرهم قدوة، فاحسب حساب أفعالك وأقوالك، وراقب الله أولًا.

ولتعلم أن الناس كما ينظرون إلى الداعية في أعماله وتصرفاته ينظرون إلى أسرته وأهل بيته، وإلى مدى تطبيقهم لِمَا يقول، وهذا يفيد ويبيّن أن الداعية كما يجب عليه أن يكون قدوة في نفسه يجب عليه أن يُقوِّم أهل بيته وأسرته، ويلزمهم بما يأمر به الناس، ويدعوهم إليه؛ ولهذه الأهمية كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء، جمع أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدًا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة(١).

لذا يقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وهذه

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري، ٢/ ٦٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ٣/ ٣١.

عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد. أهـ

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس من يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه، ويبتعدون عما ينهون عنه، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣] وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة:٤٤].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه. هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك**»(١).

ويا للأسف كم شوه بالدعوة كثير من الناس، فتجد البعض يخالف فعله قوله، يأمر بالخير ولا يفعله، وينهى عن الشر ويرتكبه، سيء الأخلاق، قبيح المعاملة، بذيء القول، يشكو منه أغلب من حوله، فنعوذ بالله من هذا الصنف الذي ضرره أكثر من نفعه.

❋ ❋ ❋ ❋

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن ١/ ٣٢٤.

القراءة في سير أهل الصلاح

إن القراءة في سير الصحابة والتابعين وأهل العلم تحرك العزيمة على اكتساب المعالي ومكارم الأخلاق، فبالمطالعة في تراجمهم تتمثل حياتهم أمام القارئ، وتوحي إليه بالسير على منوالهم، والاقتداء بهم، فإن السلف هم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الذين ورثوا عن رسول الله ﷺ هديه، وسمته، وخلقه.

وللقراءة في سير وتراجم أهل الفضل والعلم فوائد كثيرة، ومنافع عظيمة إليك بعضًا من ذلك.

منها الهمة العالية: فمن يقرأ في سير الأولين ويرى ما كانوا عليه من جد واجتهاد ونشاط في طاعة الله، تعلو همته للاقتداء بهم.

ومنها صلاح القلب: فتراجمهم وسيرهم فيها من رقائق الإيمان، والمواعظ الجميلة، التي تزكي القلوب وترققها، وتأخذ بها إلى الباري جَلَّوَعَلَا، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلوب.! إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين[(١)].

ومنها معرفة قدر النفس: ولولم تكن من القراءة في تراجم السلف إلا هذه الفائدة لكانت كافية، فمهما فعلنا واجتهدنا لن نصل إلى ما وصلوا إليه.

---

(١) صيد الخاطر ٧١.

ومنها معرفة العبد تقصيره: فالإنسان قد تعجبه نفسه، ويزين له الشيطان عمله، فيقرأ في تراجم أولئك الرجال فيعرف ما هو عليه من الضعف والتقصير، قال الشاطبي رحمه الله: من نظر في سير السلف عرف تقصيره، وتخلفه عن درجات الرجال(١).

ومنها زيادة محبتهم: وحب الصالحين عظيم، والمرء مع من أحب يوم القيامة، فاللهم إنا نشهدك أننا نحبك، ونحب رسولك ﷺ، ونحب أصحاب رسولك ﷺ، ونحب من تبعهم بإحسان، فاحشرنا في زمرتهم، واجمعنا بهم في الفردوس الأعلى إنك جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

١٤٤٤/٧/١هـ

❀ ❀ ❀ ❀

(١) الاعتصام ١٢.٧.

فهرس الموضوعات

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدث سليم بن عيد الهلالي حفظه الله ٥
تقديم فضيلة الشيخ الجليل أبي محمد عبد الحميد الزعكري الحجوري حفظه الله ٦
تقديم فضيلة الشيخ الجليل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله ٨
المقدمة ٩
الإخلاص ١٢
الحرص على تعلم العلم الشرعي ١٥
العمل بالعلم وأن يوافق القول الفعل ١٨
العناية بالقرآن حفظًا وتدبرًا وحُسن أداء ٢٢
اتباع الدليل ٢٥
الثبات على الحق ٢٨
التميز والصفاء ٣١
علو الهمة ٣٤
التعفف عما في أيدي الناس ٣٦
حُسن الخلق ٣٨
التحلي بالصبر ٤١
احترام أهل العلم والرجوع إليهم وسماع توجيهاتهم ٤٤
قبول النصيحة والرجوع إلى الحق ٤٦

النصيحة بالحسنى ٤٩
ترك التعصب..... ٥٣
الرفق واللين ٥٦
العدل والإنصاف ٥٩
الأناة وعدم العجلة..... ٦٢
التواضع وخفض الجناح ٦٥
مخاطبة الناس بما يعقلون..... ٦٩
تقديم مصلحة الدعوة على المصالح الشخصية ٧١
عدم تتبع العثرات والفرح بالزلات ٧٤
الحفاظ على الأخوة والبعد عما يسبب الخلاف ٧٧
ترك تعيير التائب بما كان عليه قبل توبته ٨٠
ترك الحسد ٨٢
مراعاة المصالح والمفاسد ٨٤
التزاور في الله والمشاورة في أمور الدعوة..... ٨٦
عدم تضييع الأوقات ٨٨
حُسن القدوة..... ٩٠
القراءة في سير أهل الصلاح..... ٩٣
فهرس الموضوعات ٩٥

تم بحمد الله